روايات عادة

ايثونا يولوفيتش

مال بدون حب

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظميني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٧٨٩٩

غادة

مال بدون حب

ايثونا يولوفيتش

بعد طفولة قاسية وفقر مدقع، استطاعت اندريا أن تصبح عارضة أزياء ناجحة. هي صممت أن تتزوج لأجل المال والأمان، وعندما تقدم لها جوستين تمبلار - وسيم، وغني، وذكي - هي كانت مبتهجة لتقبل به. لكنها عندئذ هي بدأت تدرك ما فائدة العيش بدون حب حقيقي. أي نوع من المستقبل هي ابتكرته لنفسها؟ وهل كانت هناك أية طريقة للهرب؟.

www.elrahbah.com

- ١ -

آملة بأنها لن تزعق، أدارت المسكة وفتحت الباب بوصة أو اثنتين. كانت الغرفة قاتمة الاضاءة وهي استطاعت أن تشم الرائحة وتسمع خشخشة كتل حطب التفاح، لكن لم يكن هناك صوت آخر. ما تزال حذرة، دفعت الباب قليلاً ونظرت الى الداخل. كان هناك دورق من العصير وعلبة سيجار على طاولة منخفضة، لكن الكراسي الجلدية العميقة بجانب النار كانت شاغرة. بتنهيدة ارتياح هي تسللت الى الداخل وأغلقت الباب، آملة أن لا يمانع السيد ايفرارد لاستعمالها لمكتبه كملجأ مؤقت.

بعد صخب اسطوانات الجاز، وصمت هذه الغرفة المكدسة جدرانها بالكتب والمصابيح المظللة هي كانت

آمنة تماماً. تمنت لو أنها تستطيع قضاء بقية الأمسية جالسة تتصفح كومة من مجلات حياة الريف على رف بجانب الموقد. لكن جيل بكل تأكيد ستأتي للبحث عنها، وكيف يمكنها أن تفسر أنها ليست في مزاج للحفلة، أو ليس نوع حفلة الشباب الصاخبة التي كانت تجري في الطابق العلوي؟.

«مساء الخير».

دارت أندريا شاعرة بالذنب.

رجل طويل لم تشاهده من قبل كان واقفاً بجانب الستائر المخملية الثقيلة التي حجبت الخليج العريض عند الطرف البعيد من الغرفة.

«أنا أخشى أن أكون قد أخفتك. هل تبحثين عن السيد ايفرارد؟ هو استدعي الى الهاتف، لكنه سيعود في دقيقة أو اثنتين».

عندما هو دخل دائرة ضوء المصباح هي رأت أنه كان رجلاً أكبر بكثير من الضيوف الآخرين، ربما في الثانية والثلاثين أو الثالثة والثلاثين. بياض قميصه يؤكد قتامة لونه، ولكن بالنسبة الى صوته، هو قد يكون ايطالياً أو اسبانياً.

«كيف تسير الحفلة؟» هو سأل، عندما وقفت تحدق اليه.

«في هذه اللحظة هم يمثلون طريقة متقنة للجريمة»

قالت، واستعادة رباطة جأشها.

«وهل أنت القاتلة؟» سأل بأسى.

«لا. أنا... أنا فقدت شريكي».

«أنا فهمت».

كانت هناك لمحة تسلية في عينيه السوداوين وهي تعجبت اذا اعتقد أن الخسارة كانت مدبرة. كان شريكها شاباً عاشقاً تشجع بكثير من العصير. من المفروض أنه كان لا يزال يفتش عنها في ظلام الممشى العلوي.

«ألا تجلسين؟» قال الرجل.

قبل أن تتمكن من الاجابة فتح الباب ودخل السيد ايفرارد.

«لا ضوء في المكان والناس يزحفون كاللصوص» أعلن، مقهقهاً. «هاللو، أندريا. هل تبحثين عني أم أنت تحتمين من الارهاب في الخارج؟».

«أعتقد أنها تنشد المأوى، يا سيدي» قال الرجل الطويل.

«أخشى أنني فقدت طريقي في الظلام. أنا لم أقصد ازعاجك» قالت اندريا بسرعة.

«هراء، يا عزيزتي. تعالي واجلسي. سأحضر لك كوباً من العصير» قال مضيفها بلطف. مبعداً اعتراضاتها، سحب كرسياً ثالثاً وألح عليها بأنها يجب أن تنضم اليهما.

«اذا ذهبت الى الخارج فسيأسرك الشخص الذي أمسك بخاصرتي تحت انطباع أنني كنت الشخص المدعو بوبو» حذرها بغمزة. «في حال اعتقدت أن هذا هو منزل مجانين، يا تمبلار، فيجب أن أشرح بأن أطفالي يقيمون حفلة عيد ميلاد، ومن الواضح أن اغراق المنزل بالظلام هو جزء ضروري من الاحتفالات».

ضحك الرجل الطويل.

«هكذا أنا اعتقدت».

«على فكرة، هل قدمتما نفسيكما؟» سأل السيد ايفرارد. «السيد تمبلار هو جار لنا، يا عزيزتي. الآنسة فلمنغ تشارك بشقة مع ابنتي في كينسنجتون، السيد تمبلار. هي تقضي عيد الميلاد معنا».

هما تصافحا. كانت مسكته قوية بألم، ورغم أنها هي نفسها كانت طويلة فهي قلما استطاعت أن تنظر لتلتقي عينيه.

«هل هذه هي زيارتك الأولى الى كورنوول، يا آنسة فلمنغ؟» هو سأل عندما جلسا.

«نعم. أنا عشت في ليفربول قبل الذهاب الى لندن. الريف هو جديد تماماً بالنسبة لي».

«ليس هناك مكان مثل الريف في عيد الميلاد» قال السيد ايفرارد، وناولها كوب العصير وصب عصير مع ثلج لنفسه وللسيد تمبلار.

«ربما أنا ما تقوله جيل عصا في الوحل، لكن يبدو لي أنك لا تستطيعين معرفة الوقت من السنة في المدينة، مع أنني أدرك أن الشباب يفضلون الاضواء البراقة والنشاط. أنت لديك الأفضل من العالمين، يا سيد تمبلار. فماذا تقول؟».

«أنا أوافق معك بأن حياة الريف هي أكثر ارضاء، لكنني أعتقد أنني أفضل منزلي في لندن خلال الشتاء، رغم أنه، كما تقول، عيد الميلاد هو استثناء».

«بالتأكيد عيد الميلاد هو جو يستطيع المرء أن يحوز عليه في أي مكان» قالت أندريا بتفكير. «أو لا مكان» أضافت بنعومة، مراقبة اللهب يلعق كتل حطب التفاح.

أطلق عليها تمبلار نظرة متيقظة سريعة.

«أنت على حق، المرء يستطيع أن يحوز على حلي عيد الميلاد وما زال ينقصه الجو» قال. «ما هي وظيفتك، يا آنسة فلمنغ؟».

«أنا عارضة ـ عارضة أزياء».

«هل تستمتعين بها؟» سأل.

«نعم، كثيراً جداً. مع أنها ليست دائماً حياة ساحرة كما يفكر الناس».

«أنا أتخيله عملاً صعباً للغاية. ما الذي جعلك تختارينه كمسيرة حياة؟».

«أنا بالضبط لم أختره» قالت بانعكاس، وارتشفت

العصير. «أنا اعتدت العمل في مخزن كبير للأقمشة والمنسوجات حيث أحياناً يقومون باستعراض مانيكان، مستخدمين المساعدات كعارضات. انه يستغرق وقتاً طويلاً للحصول على مركز جيد ودخل جيد في المخزن، لذا ادخرت المال الكافي لدورة تدريبية كعارضة وانتهزت الفرصة. لغاية الآن أنا محظوظة جداً».

«أنا لن أقول ذلك، يا عزيزتي. أنت فتاة جميلة جداً» قال السيد ايفرارد بشهامة.

«هناك مئات الفتيات الجميلات اللواتي يردن أن يكن عارضات» أخبرته أندريا. «الجمال ليس كافياً. عرض الأزياء هو كالمسرح. قلة منهن يصلن الى القمة، وذلك يحتاج الى مزيد من الحظ أكثر مما يبدو».

«أو تلك صفة النجومية الغريبة التي لا أحد يستطيع وصفها» قال تمبلار. «ماذا كنت ستفعلين لو لم تكوني ناجحة، يا آنسة فلمنغ؟».

«أنا كان يتوجب علي العودة الى عمل المحل».

«أنا أتوقع بأنك ستتزوجين قبل فترة طويلة، يا عزيزتي» قال مضيفها. «ان فتاتي خطبت نفسها الى صحافي، يا تمبلار. انه شاب لطيف. يعمل في احدى الصحف اللندنية».

«نعم، نيك هو شخص عزيز. أنا واثقة بأنهما

سيكونان سعيدين جداً» قالت أندريا بحرارة.

«هل تفكرين في الزواج، يا آنسة فلمنغ؟».

هزت رأسها. «أنا مشغولة جداً للتفكير بأي شيء عدا وظيفتي في هذه اللحظة».

في تلك اللحظة اندفعت جيل الى داخل الغرفة، وتوقفت عندما شاهدت تمبلار.

«آسفة للتدخل، يا بابا. أنا كنت أبحث عن أندريا. مساء الخير، يا سيد تمبلار».

وقف تمبلار. «مساء الخير. لقد أخبرني والدك لتوه عن خطوبتك. هل لي أن أقدم لك أطيب التمنيات؟».

«أشكرك» ابتسمت له، وتورد خفيف لون خديها. «قال بول أنه فقدك في الظلام، يا أندريا. نحن بدأنا الرقص من جديد. هل ستصعدين؟».

«نعم، بالطبع. أشكرك على العصير، يا سيد ايفرارد. وداعاً، يا سيد تمبلار».

هذه المرة عندما هي مدت يدها هو انحنى ورفعها الى شفتيه.

«ربما سنلتقي من جديد بينما أنت في كورنوول» قال، وكان هناك شيء ما في نظرته مزعج بشكل غريب.

كان ذلك بعد الساعة الثانية عندما اندفع آخر الضيوف في سيارات سبور متداعية وديفي ايفرارد،

الشقيق الأصغر لجيل، اقترح بأن يتناولوا فطوراً باكراً من اللحم والبيض في المطبخ. عندما الفتاتان أخيراً صعدتا الى الطابق العلوي أعلنت ساعة الجد في القاعة الساعة الثالثة صباحاً.

«لقد تجاوزت مرحلة النعاس الآن، لكنني أتوقع بأننا سنشعر كالأموات صباح غد» قالت جيل عندما خلعتا ثيابهما في غرفة النوم الفسيحة التي كانت تشاركها بها اندريا.

«لا تنس أن نيك سيصل غداً، أنت لا تريدين أن تحييه مع أكياس تحت عينيك» ذكرتها اندريا، مبتسمة.

«هل نسيت؟ انني أعد الساعات. أتمنى لو أنه كان هنا الليلة».

خلعت اندريا ثيابها الداخلية الضيقة. «أنت محظوظة لأن لديك عائلة كبيرة ومنزلاً كهذا لتعودي اليه» قالت في صوت منخفض.

«إم م، إنهم أعزاء، أليس كذلك؟ على فكرة، ما هو رأيك بجوستين تمبلار العظيم؟».

«لماذا العظيم؟».

«ألم تتعرفي اليه؟ هو دائماً يظهر في المجلات الوضيعة المتعاظمة، مرافقاً سيدته المحبوبة الى آسكوت وهانلي وكل تلك الأماكن الحيوية المختالة».

بدأت اندريا تضع الكريم على وجهها.

«هو لا يبدو كرجل مدينة» قالت.

«حسناً، هو كذلك. وأكثر من ذلك هو غني بشكل خيالي. وسيطات الزواج يحاولن اصطياده لسنوات، لكن من الواضح أنه عازب ثابت».

«هو يبدو بالأحرى أجنبياً».

«والدته اسبانية. توفيت منذ سنوات ومن ثم سقط والده من جبل في سويسرا وورث جوستين ملايين تمبلار عندما كان لا يزال تلميذاً».

«ملايين؟» استعلمت أندريا بجفاء.

«ربما ليس ملايين بالضبط، بل قدوراً وقدوراً. أبرشية لينغارد - تلك هي منزله فوق المستنقع - هي مكان فسيح ولديه منزل آخر في ماي فير وفيللا على البحر الأبيض المتوسط».

انتهت أندريا من ازالة ماكياجها وبدأت تمشط شعرها البني الغامق.

«هو لا يبدو كرجل غني» قالت بتفكير.

«هل هو أذهلك بعينيه السوداوين الكبيرتين؟ من الأفضل أن تحذري منه. هو يكون رجلاً خطيراً حيث يتعلق الأمر بالفتيات الجميلات» قالت جيل محذرة.

ضحكت اندريا. «أنا لم أكن مذهولة وأنا واثقة أنه لم يكن هو أيضاً» طمأنتها.

«هو بدا كأنه كان مذهولاً عندما قبل يدك. انها

www.elromancia.com

حماقة، على ما أعتقد، لكنه بالأحرى يعطيني التفاهات. هو دائماً لديه نظرة ساخرة في عينيه، كأنه يعرف بالضبط بماذا يفكر المرء. ومن ثم هو هكذا أسود. مثل... مثل قاطع طريق. أعتقد أن لديه طباعاً رهيباً عندما يثار».

«هكذا لدى معظم الناس» أشارت أندريا.

«ربما، لكن ما زال هناك شيء ما حوله يخيفني» قالت جيل مع رعشة دراماتيكية. «هو أخذني للعشاء مرة عندما ذهبت الى لندن لأول مرة. نحن تقابلنا في شارع ريجنت، وأنا ذهبت بدافع الفضول لا أكثر. طوال طريق العودة الى دار الضيافة في سيارته أنا كنت خائفة بأنه يوشك أن يقبلني. مع أنني في الواقع لست من نوعه».

عبرت الغرفة لتحضر فستان نومها، توقفت خلف اندريا ودرست انعكاسهما في مرآة طاولة الزينة.

«أنت كنت تبدين مذهلة في ذلك الثوب الأخضر» قالت بمحبة. «كل الشباب كانوا كالمجانين».

«وهكذا كنت أنت. من الخير أن نيك سيصل غداً لحماية مصالحه».

«أتمنى لو أن لدي عينان خضراوان» قالت جيل مع تنهيدة حسد. «أوه، أنا أعلم أن وجهي جميل تماماً في ما تسميه الكتب طريقة الورد الانكليزي، لكنك أكثر من

ذلك. أنت جميلة حقاً، يا أندريا».

«أنت لديك حفلات كوكتيل عديدة، يا فتاتي» قالت أندريا. «أسرعي واخلدي الى النوم».

«قالت الوالدة هذا الصباح أنها سعيدة جداً بأننا نشترك في شقة. هي تعتقد أن لديك نفوذاً ثابتاً علي» قالت جيل مع قهقهة.

«أنت بالتأكيد بحاجة الى واحدة. مع ذلك، يبدو أن نيك يعرف كيف يبقيك في نظام» أجابت اندريا.

رغم أن الفتاتين كانتا مختلفتين جداً في الشكل والشخصية، فقد كانت هناك محبة أصيلة بينهما. في الثانية والعشرين، كانت اندريا أقدم كثيراً في الاسلوب والترقب من جيل الهزيلة، التي كانت أصغر منها بسنة. كانت جيل ذات روح معنوية عالية، مندفعة، ومسرفة. اندريا كانت هادئة ومحافظة مع تلهف للنظام. لكن، بالرغم من التناقضات بينهما، فهما تشاركتا في شقة صغيرة بسعادة عارمة لأكثر من سنة، وعرفت أنها ليس لديها أقارب لتذهب اليهم، فألحت جيل على وجوب قدوم أندريا الى مورهافن لإجازة عيد الميلاد. في سرها هي تأملت أن ميشيل، شقيقها الأكبر، سيقع في حب صديقتها، لكن بالرغم من أنه كان في الواضح منجذباً، فلم تكن هناك طريقة لمعرفة شعور أندريا. في الحقيقة، رغم أنها باحت بكل تاريخ عائلتها، فجيل

عرفت القليل جداً عن خلفية اندريا مع عدا تفاصيل زهيدة عن وفاة والديها وأنها بدأت العمل كفتاة مبيعات في الخامسة عشرة. مرة أو مرتين هي حاولت أن تكتشف المزيد، لكن اندريا أجابت بمراوغة وجيل لم ترغب بأن تجس بوقاحة.

«غداً صباحاً يجب أن نحضر زينة شجرة عيد الميلاد» قالت عندما تسلقتا السرير المزدوج. «أنا سأضع المنبه عند الساعة التاسعة والنصف. نحن لا نريد أن نفرط في النوم كثيراً. أحلام سعيدة. تصبحين على خير».

«تصبحين على خير».

أطفأت اندريا النور وهما تمددتا.

بعد فترة كانت جيل نائمة، وأندريا رقدت محدقة في الظلام. السيد والسيدة ايفرارد رحبا بها لدرجة أن خوفها من أن تكون دخيلة في عيد عائلي سرعان ما تلاشى، لكن بالرغم من فرحتهم المخلصة لإقامتها معهم، فهي لم تستطع أن تطرد الشعور بكونها غريبة، متطفلة.

مع تنهيدة، حولت أفكارها الى مهمة جمع زينة شجرة الميلاد التي ذكرتها جيل. مهما كان الذي يخبئه المستقبل، فعلى الأقل هي تستطيع قضاء هذه الأيام القليلة كشخص عادي.

في يوم عيد الميلاد حضرت العائلة بكاملها خدمة

الصباح في كنيسة القرية الصغيرة، التي كانت مزينة بأكاليل زينة الميلاد ونبات الهدّال.

قرأ السيد ايفرارد الدرس الأول وجوستين تمبلار الدرس الثاني، صوته صاف عميق يؤكد جمال قصة ولادة السيد المسيح عليه السلام. خلال العظة، نظرت أندريا الى رفاقه. المرأة بجانبه كان واضحاً أنها شقيقته، رغم أن ملامحها كانت أجمل وشعرها المصفف بشكل جميل كان مصبوغاً بالأشقر الفضي. كانت ترتدي معطفاً من فراء السمور الثمين، وعندما رفعت يدها لتلامس قرط اللؤلؤ، شاهدت أندريا بريق الماس على أصابعها. لكن بالرغم من فرائها ومجوهراتها فقد كانت لديها ملامح عدم الرضا القاسية وبدت ضجرة جداً من الخدمة. بجانبها كان رجل مزخرف الوجه قوي في حوالي الخمسين الذي ظل يتنحنح، وفكرت أندريا أنه اذا كان زوجها، فربما هذا الأسلوب المتهيج يعود الى مظهرها المشاكس.

بعد الخدمة خرج حشد المصلين الى شمس كانون الأول الباهتة، وآل ايفرارد كانوا مشغولين يتبادلون التهاني مع جيرانهم، وهكذا انسحبت اندريا جانباً.

«صباح الخير، يا آنسة فلمنغ».

ملتفتة، وجدت جوستين تمبلار واقفاً بجانبها.

«صباح الخير».

مرة ثانية شعرت أندريا بأنها مضطربة قليلاً بالنظرة في عينيه السوداوين. بدأت تفهم لماذا كان له مثل هذا التأثير المثير للأعصاب على جيل.

«حسناً، من الأفضل أن ننضم الى الآخرين وإلا فإننا سوف نتأخر عن الغداء» قالت.

«عيد ميلاد سعيد، يا آنسة فلمنغ».

«أشكرك. عيد ميلاد سعيد. وداعاً».

تلك الليلة عندما جلسوا حول النار في غرفة الجلوس، تحدثوا عن أعياد الميلاد السابقة، وهي شعرت بسعادة أكبر مما شعرت منذ فترة طويلة. فيما بعد فتحت جيل الراديو ورقصت مع خطيبها، وشباب ايفرارد الثلاثة تبادلوا الأدوار بمشاركة اندريا.

«ما رأيك ببعض الهواء النقي؟ معطفك في القاعة، أليس كذلك؟» قال ميشيل بعد أن رقصا لفترة.

كانت السماء مليئة بالنجوم وضوء القمر يتلألأ فوق الأعشاب ويلقي ظلالاً غريبة تحت الأشجار. هما سارا عبر حديقة الورود التي نسقتها السيدة ايفرارد في صمت مريح.

«بكل تأكيد قدماك تجلدا في هذا الحذاء المجنون؟» سأل، ونظر الى حذائها الزمردي الشفاف الذي كانت ترتديه.

«أنا دافئة كالتوست. ما أجمل ليلة عيد الميلاد»

قالت، ونظرت الى السماء المتلألئة.

«اعتقدت بأنك قد ضجرت».

«ضجرت؟ لماذا يتوجب علي ذلك؟».

«انه مثير جداً هنا. أنا أتوقع أن لديك حياة مرحة تماماً في المدينة».

«يا عزيزي ميشيل، ألم تدمر جيل أوهامك حول الحياة المرحة لعارضة الأزياء؟».

«أوه، أنا أعرف أن الوظيفة ليست كلها كعكاً، لكن فتاة مثلك مقيدة بأن يكون لديها الكثير من المواعيد».

«لماذا تقول ذلك؟».

لبط حجراً على طول الممر. «أنت يجب أن تعرفي أنك جميلة جداً» قال بعبوس.

«أشكرك» قالت بلطف. «لكن ليست عندي حياة مرحة بوجه خاص، كما يحدث، وأنا لا أستطيع أن أفكر بأي مكان أكون فيه غير هنا. أنتم جميعكم طيبون معي. أنا لم أستمتع بعيد ميلاد بهذا القدر لسنوات».

«هل أنت حقاً تعنين ذلك؟».

«بالطبع أنا أعني ذلك».

عندما عادا الى المنزل هو دس ذراعه في ذراعها. هما سارا جنباً الى جنب يناقشان خطط زواج جيل، لكن عندما وصلا الى باب الحديقة، أمسكها ميشيل وهي نظرت مستعلمة لترى لماذا توقف. عندئذ، بدون

سابق انذار، أخذها بين ذراعيه ليعانقها. بعد ذلك عرفت أندريا أنه كان يتوجب عليها أن تتنبأ بأنه سيفعل، لكن ذلك حدث فجأة قبل أن يكون لديها وقت للتفكير، لكن ميشيل لم يكن شاباً أحمقاً يختبر عناقه الخجول الأول؛ وسرعان ما اشتدت قبضته، لكن في نفس اللحظة هي أدارت وجهها جانباً وناضلت لتحرير نفسها. هو تركها فوراً، وهما حدقا الى بعضهما، كلاهما يلهثان بسرعة، كلاهما منزعجان بهذه الذروة العاطفية غير المتوقعة ليوم هادىء.

«أنا آسفة يا ميشيل» قالت بصوت متعب. «أنا لم أكن أعلم أنك أردت أن تفعل ذلك وإلا لما سمحت بحدوثه» تلعثمت قليلاً، اشارة دائماً بأنها كانت غاضبة أو متكدرة.

«أنا اعتقدت أنك معجبة بي» قال بخجل، وهي استطاعت أن ترى الأذى والارتباك في عينيه.

«أنا معجبة بك، أنا معجبة بك كثيراً».

«اذن لماذا...؟».

قاطعته. «لأن ذلك لن يكون عادلاً. أرجوك لا تطلب مني تفسيراً. أنا فعلاً آسفة، يا ميشيل. لقد كانت كلها غلطتي. تصبح على خير».

استدارت وركضت الى البيت، وهي تصلي كيلا يلحق بها. عندما وصلت الى غرفة النوم هي أغلقت

الباب واتكأت عليه، لاهثة ومرتعشة. أخيراً هي أضاءت النور وبدأت تخلع ثيابها بحركات بطيئة منهكة. ما ان دخلت في السرير حتى ظهرت جيل.

حالما شاهدت وجهها، قدرت أندريا أن ميشيل قد أخبرها بما حدث.

«يا أندريا... هل أنت على ما يرام؟» سألت جيل بخجل.

«بالطبع، أنا كنت متعبة قليلاً، وهكذا فكرت بأنك لن تمانعي اذا صعدت الى السرير».

بدت جيل غير مرتاحة.

«يقول ميشيل أنه يخشى أن يكون قد أزعجك» قالت بحماقة.

قالت أندريا بهدوء، «لا داعي للقلق. لقد عانقني ميشيل وأنا هربت منه، هذا كل شيء».

«ألست معجبة به، اذن؟».

«بالطبع أنا معجبة به. هو ساحر. أنا فقط فكرت أنه ليس من الحكمة بأن أسمح له بأن يعانقني. ضوء القمر والعناق يلعبان خدعاً غريبة على الاشخاص. قد يظن ميشيل أنه وقع في غرامي».

«هل تمانعين إن هو فعل؟».

«أنا أكره بأن يؤذى».

«أنت تعنين أنك لا تستطيعين أن تشعري كذلك

نحوه؟».

عضت أندريا على شفتها. «لا، أخشى أن لا أستطيع» تنهدت. «أنا كنت بليدة بشكل رهيب هذا المساء. كان يجب أن أعرف الى ماذا سيؤدي المشي في الحديقة» قالت بكآبة. «هل يشعر ميشيل بالإهانة؟».

«لا، أنا أعتقد أنه قلق جداً عليك» توقفت جيل، وتلاعبت بسوار فضي هندي على معصمها النحيل. «في الواقع أنا تمنيت أنك أنت وهو سوف... حسناً، أنت تعرفين».

«هذا جميل للغاية منك، يا جيللي. أرجو أن يكون الأمر هكذا. ميشيل هو واحد من ألطف الرجال الذين قابلتهم» قالت اندريا بلطف.

«حسناً، من الأفضل أن أذهب وأخبره أنك على ما يرام» قالت جيل في صوت مخيب للأمل. «أندريا؟».

«نعم؟».

«هل وقعت في الحب في حياتك؟».

سحقت أندريا سيجارة دخنت نصفها ونزلت عن السرير لكي تنظف أسنانها من جديد.

«لا» قالت ببساطة. «لا، أنا لم أقع في الحب».

بدت جيل كأنها على وشك أن تتكلم ثم غيرت رأيها وخرجت من الغرفة.

نامت أندريا بشكل رديء، وعند الضوء الأول هي رفعت الأغطية ونهضت وارتدت ثيابها.

«آملة بأن لا تبدأ الكلاب بالنباح، أخرجت أندريا نفسها من الباب الأمامي ونظرت خلسة الى ساعتها في الضوء الرمادي القاتم. كانت بعد الثامنة بقليل، مما يعني أن لديها ساعة ونصف قبل الفطور. غادرت الحديقة من الباب الخلفي، وشرعت تسير في الزقاق الضيق الذي يؤدي الى المستنقع. عندما وصلت الى القمة، هي جلست على الصخر الضخم لتتأمل المنظر.

الى الشمال والجنوب تتدحرج المستنقعات الى مسافة بعيدة، وبدت لندن على بعد آلاف الأميال. كانت قد جلست على الصخرة لبعض الوقت وكانت تقشر برتقالة أحضرتها معها عندما سمعت وقع حوافر وشاهدت رجلاً يمتطي حصاناً أسود قوياً عبر المنحدرات المنخفضة. حتى قبل أن يقترب منها كفاية لترى وجهه، تعرفت على جوستين تمبلار، وتعجبت لماذا كان هو يركب باكراً في صباح يوم الملاكمة.

على بعد حوالي خمسين ياردة منها هو ترجل ولف لجام حصانه على غصون شجرة سندر فضية. عندئذ هو صعد اليها.

«صباح الخير، يا آنسة فلمنغ. أنا لم أتوقع أن أجدك على المستنقع في هذه الساعة».

«أنا أردت بعض التمرين» قالت، ولفت قشرة البرتقالة بمنديل ورق ووضعتها في جيب سروالها.

«أنا أرى أنك لست مذنبة بالعادة السيئة لرجل المدينة بإلقاء النفايات فوق المكان» قال، وجلس على صخرة قريبة.

«الترتيب هو خطيئتي. أنا أكره رؤية قطع ملقاة حول أي مكان. هل تحب بعض البرتقال؟».

«أشكرك. الهواء هنا يجعلني جائعاً».

قسمت البرتقالة وناولته نصفها. كان يرتدي ثياباً شبيهة بثياب الصيادين. في تلك اللحظة هو لم يكن يبدو بتاتاً أشبه بمتمول ثري مع كل الرفاهية التي يستطيع أن يشتريها المال.

«أنت تعلمين، أنك المرأة الوحيدة التي ألتقيها وتبدو جميلة عند الثامنة والنصف في الصباح» قال بسرعة.

ضحكت أندريا.

أخرج علبة سجائر وقدم لها واحدة. هما دخنا في صمت لبعض الوقت الى أن قال فجأة، «متى تعودين الى لندن؟».

«بعد غد».

«هل تتناولين العشاء معي ذات مساء الاسبوع القادم؟».

كان يجب أن تظهر دهشتها، لأنه قال، «هل مثل هذا الطلب هو غير عادي؟».

«لا، ليس بالضبط... انه فقط...» توقفت. بدا الرجل بأنه يريد أن يأخذها على حين غرة. «أشكرك، يا سيد تمبلار. أنا يجب أن أحب ذلك».

«اسمي جوستين، وأنا أفضل أن أناديك أندريا، ما لم يكن ذلك الامتياز هو فقط للأصدقاء أصحاب المقام الرفيع».

«يمكنك أن تناديني أندريا اذا شئت» قالت بجفاء، وفكرت أنه من المحتمل أن يفعل هكذا في أي حال.

ضحك ووقف.

«اسمحي لي بأن أرافقك الى المنزل. هل تستطيعين الركوب؟».

هزت رأسها.

«اذن لقد حان الوقت للبدء. هيا».

متسلية وحانقة قليلاً من طرقه الطويلة اليد، لحقت به الى شجرة السندر.

«هيا الى فوق» بسهولة كأنها كانت طفلة هو وضعها على ظهر الحصان الكبير. «اجلسي مفتوحة الساقين. لا تقلقي. جاسون لا ينطلق».

فك اللجام، وسار خلفها.

«هل أنت مرتاحة؟».

«ليس تماماً؟».

«لا بأس. انه أسرع من المشي».

عندما عادا الى المنزل، كانت أندريا مدركة تماماً أن ذراعيه كانتا تطوقان خصرها. جلست مستقيمة قدر المستطاع لكي تتجنب الاتكاء عليه مصادفة وكانت سعيدة عندما وصلا الى البوابة الخلفية وكان قد ركب خلفها في منتصف الطريق فترجل وساعدها على النزول.

«أشكرك. أنا وصلت في موعد الفطور. وداعاً... يا جوستين».

«وداعاً، حتى الاسبوع القادم».

أعطاها تحية عادية وقفز ثانية الى السرج، وحث الحصان الاسود على المشي.

راقبته ممتطياً الى المنعطف في الزقاق. تعجبت اندريا اذا كانت هي حكيمة في قبول دعوته. في وقت لاحق من النهار هي ذكرت المقابلة الى جيل، التي فرحت كثيراً بها وأعلنت أن جوستين بكل وضوح كان في ملاحقة ساخنة لها.

«هو من المحتمل أن يلحق بك ثانية الى لندن ويدعوك الى عشاء في فندق سافوي» تنبأت.

«هو فعل ذلك. لا شيء محدد. مجرد دعوة عامة للعشاء ذات ليلة من الاسبوع القادم».

«ماذا قلت؟» سألت جيل بشوق.

«أنا قبلت، لكنني قد أغير رأيي. أنا لست واثقة بأنني معجبة بالسيد تمبلار العظيم» نالت أندريا بتفكير.

هما غادرتا كورنوول في صباح ساطع بارد ووصلتا الى لندن في وسط هطول أمطار غزيرة. بدت الشقة صغيرة جداً بعد الغرف الفسيحة في مورهافن.

«الناس يكونون مجانين للعيش هنا» قالت بكآبة ذات أمسية بعد نهار ممطر. «أحياناً أتمنى لو لم أترك المنزل».

«إنك ما كنت لتلتقي نيك لو لم تفعلي» قالت أندريا، محاولة الترفيه عنها.

كانتا تتناولان العشاء في مطبخهما الصغير عندما رن جرس الهاتف. مجيبة عليه، سطع وجه جيل.

«إنه جوستين تمبلار العظيم» قالت في مرحلة همس وناولت السماعة الى اندريا.

«هاللو؟».

«أندريا؟ هنا جوستين تمبلار. كيف حالك؟».

«غارقة في كآبة ما بعد عيد الميلاد» قالت بإحساس.

«حسناً. إذن أمسية في الخارج هي ما تحتاجين اليها. لدي تذكرتين لمسرحية جديدة في هايماركت يوم الجمعة اذا كان يهمك مشاهدتها».

«أنا أحب مشاهدتها».

«أنا أقترح بأن نتناول العشاء مسبقاً. هل أتصل بك

حوالي السادسة؟».

«نعم. أشكرك كثيراً».

حالما قالا وداعاً وهي أعادت السماعة، قالت جيل، «متى وأين؟».

«ليلة افتتاح راتيغان يوم الجمعة. العشاء أولاً».

«ماذا سترتدين؟».

«الشيفون الاسود، على ما أظن».

«بحق السماء، لا يمكنك ارتداء تلك الخرقة البالية، سنذهب للتسوق غداً ونجد شيئاً مثيراً» قالت جيل بفرح.

«لكنني لست بحاجة الى ثوب جديد. أنا قلما استهلكت الثوب الاسود» اعترضت اندريا.

«يا عزيزتي، أنا لا أعتقد أنك استحوذت عليه بعد. جوستين هو ليس مجرد أي شخص. هو واحد من أغنى الرجال في لندن. الفتيات يتهافتن من أجل موعد معه».

«بالنسبة لي هو مجرد رجل لا يطاق ميزته الرئيسية هي أن لديه تذكرتين لمسرحية جيدة عندما أشعر في كانون الثاني أنني في بركة موحلة من القنوط» قالت أندريا بهشاشة.

لكن بالرغم من رفضها القفز من الفرحة لترقب أمسية الجمعة، اشترت ثوباً جديداً، وهكذا انتصرت جيل.

شاهدته في واجهة محل في الصباح التالي عندما

كانت تسير مسرعة على طول شارع بوند الى موعد، وهي عادت في فترة الغداء لتجربه. كان مصنوعاً من حرير بلون التوت بكمين طويلين وتنورة فوق صدرية من التافتا.

لراحتها السرية عاد نيك الى المدينة يوم الخميس وأخذ جيل يوم الجمعة الى حفلة، وهكذا هي كانت وحيدة في الشقة عندما اتصل جوستين.

في القاعة الضيقة بدا جوستين حتى أطول مما تذكرت. هما تصافحا، وهذه المرة هي كانت مستعدة لقبضته القوية.

عندما حمل لها معطفها، هو قال، «أنا لست أدري اذا كانت لديك أية أفضلية في المطاعم، لكنني شخصياً أكره التحدث في منافسة مع فرقة موسيقية، لذا أقترح الذهاب الى جيرسي كلوب. هل تعرفينه؟».

على عشاء من الأطعمة الشهيه والعصير الفاخر، هما ناقشا لائحة المسرحية. كان حديثاً حيوياً، وأندريا كانت نادمة عندما كان عليهما أن يغادرا الى المسرح. كانت المسرحية لامعة كتابة وانتاجاً.

عندما غادرا المسرح، سألها جوستين اذا كانت تحب أن تنهي الأمسية في ناد ليلي.

«أنا أحب ذلك، لكن لدي عمل كثير غداً. أعتقد أنني يجب أن أعود الى البيت» قالت بإكراه.

لم يحاول اقناعها بتغيير رأيها وهما عادا الى الشقة.

«أنا متعت نفسي. أشكرك كثيراً» قالت عندما توقفت السيارة عند المنعطف خارج بابها.

أوقف المحرك وهي توترت، متعجبة اذا كان سيحاول تقبيلها. لكن بدلاً من ذلك هو خرج ودار ليفتح لها الباب.

«هل يمكنني أن آخذك الى المسرح ثانية الاسبوع القادم؟» سأل عندما عبرا الرصيف. «الاستعراض في البرنسيس يفترض أن يكون مسلياً جداً، اذا لم تكوني قد شاهدته؟».

«لا، أنا أحب ذلك».

«يوم الاثنين في نفس الموعد، اذن؟».

«سيكون ذلك جميلاً».

مد يده. «تصبحين على خير، يا أندريا».

«تصبح على خير، يا جوستين».

في الأسابيع التي تلت، خرجت أندريا مع جوستين تمبلار أكثر فأكثر. كان لديها شعور مزعج بأنها كانت تلعب بالنار، لكن ذلك كان مفرحاً جداً لتتجول مع رجل يستطيع تأمين الأفضل من كل شيء، وهي تجنبت التفكير بالتطورات المحتملة لصداقتهما.

ذات مساء، بعد أن حضرا حفلة موسيقية، اقترح جوستين بأنهما يجب أن يتعشيا في منزله الليلة التالية،

ورغم أنه لم يكن لديها سبب مقنع لرفض الدعوة، كانت خائفة جداً بأن الأمسية ستحدد معالم الذروة في علاقتهما.

أمضت ليلة قلقة ووجدت من الصعب التركيز على عملها في اليوم التالي. في الوقت الذي اتصل بها جوستين هي كانت متوترة داخلياً بعصبية، لكن عندما اتجها الى ماي فير، بدا أسلوبه عادياً لدرجة أنها بدأت تتعجب اذا كانت هي قد تخيلت أزمة لا وجود لها.

الآن، خرجت من السيارة ووقفت ساكنة للحظة، واستطاعت أن تتخيل نفسها في عصر آخر، ووصلا الى طريق تنساب منه موسيقى ناعمة من قاعة للرقص وقرقعة حوافر عندما عربة انعطفت حول الزاوية.

قادها جوستين لتصعد الدرجات وفتح الباب الأمامي. القاعة كانت مفروشة بالسجاد. الجدران الزجاجية كانت مطلية بالأبيض ومذهبة. ثريا كريستال فخمة تتدلى من السقف.

مساعداً اياها على خلع معطفها، قال جوستين، «غرفة الجلوس هي في الطابق العلوي، لكنني أعتقد بأننا سنكون أكثر راحة في المكتبة».

أشار الى مدخل على يمينهما.

كانت المكتبة غرفة ضيقة طويلة مع نوافذ على كل جانب، وستائر مخملية. كانت النار مشتعلة في الموقد

والغرفة كانت مضاءة بمصباح على مكتب مغطى بالجلد. الجدران على كل جانب كانت من رخام مبطنة برفوف من الكتب؛ معظمها يحمل مجموعات من مجلدات مجلدة بالجلد لكن رفاً واحداً كان مليئاً بمنشورات حديثة.

«تعالي واجلسي» قال.

غطست في كرسي عميق مغطى بالمخمل بينما جوستين سحب حبل جرس من الطراز القديم بجانب النار.

«أعتقد أن هذه هي واحدة من أكثر الغرف أماناً التي دخلتها» قالت بتقدير.

«شقيقتي مهووسة بالديكور الداخلي. هي تريد اعادة تجهيزها بطراز معاصر» قال، وناولها علبة سجائر فضية.

«أوه لا! ذلك سيفسدها. بكل تأكيد أنت لن تدعها؟».

«بالتأكيد لا. أنا أفضلها كما هي».

كانت هناك طرقة على الباب ودخل خادم عجوز مع دورق على صينية فضية.

«هذه هي الآنسة فلمنغ، هوبارد».

«مساء الخير، يا سيدتي».

«مساء الخير».

«سنكون جاهزين في حوالي عشر دقائق» قال جوستين.

«حسناً جداً، يا سيدي» انحنى لأندريا وانسحب.

«انه رجل عجوز طيب» قالت اندريا عندما هو أغلق الباب. «أنا لم أكن أعلم أن خدماً من أصحاب الشعر الأبيض يتواجدون في هذه الأيام».

«هوبارد كان هنا عندما كنت طفلاً. هو لم يعترف بسنه، لكنني أعتقد أنه فوق السبعين» قال جوستين، وصب كوبين من العصير. «أنا اقترحت بأنه يتوجب عليه أن يتقاعد منذ سنوات، لكنه شعر بالإهانة، وهكذا سمحت له بالمتابعة».

ناولها كوبها ووضع كوبه على طاولة صغيرة.

«بعد العشاء ستتفرجين على الغرف الأخرى. المطبخ والحمامات هي الوحيدة فقط التي تم تحديثها».

«أنا أحب العيش في منزل قديم» قالت بانعكاس. «المنازل الحديثة لا جو لها».

«أنت خليط غريب من المذهب المادي والمذهب المثالي، يا أندريا» قال، وراقبها.

قبل أن تتمكن من الاجابة، ظهر هوبارد ثانية ليقول أن العشاء جاهز. ولم يكن ذلك حتى عادا الى المكتبة أن قال جوستين، «الآن، أخبريني لماذا سمح لي بمتعة مرافقتك؟».

أنهت أندريا قهوتها وأعادت الكوب والصحن على الصينية التي وضعها هوبارد بجانب كرسيها.

«لأنني، لغاية الآن، أنا دائماً أمتع نفسي» أجابت بخفة.

ألقى سيجاره في النار ووقف، وتعبير غريب على وجهه الأسمر. للحظة هي تعجبت اذا كانت قد أغضبته. عندئذ هو استدار من تأمله لكتل الحطب المتوهجة، ونظر اليها.

«يا أندريا، هل تتزوجينني؟» سأل بنعومة.

حدقت أندريا اليه غير مصدقة.

«تبدين مندهشة» قال، بعد لحظة.

«أنا... أنا ليست لدي فكرة...» قامت بإيماءة مرتبكة، ما زالت مذهولة باقتراحه المذهل لكي تفكر بوضوح.

«إذن أنت اعتقدت أن نواياي كانت سيئة».

توردت ونظرت الى يديها.

«أنا لم أكن متأكدة بأن لديك أية نوايا» قالت بصوت منخفض.

«هل تعنين أنك اعتبرتيني كصديق؟».

«نعم، أنا أعتقد ذلك».

«اذن أنت خدعت نفسك، يا عزيزتي. ليس هناك مثل هذا الشيء كصداقة بين رجل وامرأة» قال بهشاشة.

كانت هناك فترة توقف غير مريحة بينما هي بذلت جهداً لكي تتمالك نفسها.

«لكن... لماذا أنا؟» سألت أخيراً، عندما كان واضحاً أنه توقع منها أن تقوم بالحركة التالية.

«عدد من الأسباب. السبب الرئيسي هو أن لديك معظم الصفات التي أريدها في زوجتي».

نظرت اليه. «لكنك لم تقع في حبي».

«هل تؤمنين بالحب، يا أندريا؟» عيناه كان من الصعب قراءتهما.

وزنت السؤال بعناية، وتعجبت كيف يتوقعها أن تجيب.

«لا، أنا لا أؤمن به» قالت بهدوء.

«اذن نحن نفهم بعضنا».

جلس ثانية، واضعاً ساقيه الطويلين على بعضهما، مرتاحاً تماماً.

«أخبريني، هل فكرت في الزواج؟» سأل.

«نعم، من الطبيعي. أنا لم أتوقع الذهاب الى العمل الى الأبد».

«اذن، حيث أنك لا تؤمنين بما يسميه الناس الوقوع في الحب، فأنا أعتبر أنك ستتزوجينني طلباً للأمان».

«نعم. وللأطفال. أنا أحب أن يكون لدي بعض الأطفال».

«هل لديك اخوة أو أخوات؟».

«لا، أنا كنت طفلة وحيدة».

«عندما تفكرين بالأمان هل تنظرين الى منزل شبه منفصل في ويمبلدون مع زوج يقضي بعد ظهر أيام السّبت يجز أعشاب المرجة؟».

عند ذلك، ومضة تسلية أضاءت عينيها الخضراوين.

«ليس بالضبط» أجابت.

«تعالي هنا».

بعد تردد هي ذهبت ووقفت بجانب كرسيه.

«أعطني يدك».

مدت يدها وهو أمسكها بخفة عند المعصم، وفرك ابهامه على البشرة الناعمة ودرس أظافرها المطلية.

«لن يكون لديك وقت لطلاء أظافرك اذا كانت لديك قمصان للغسيل وأرض للمسح» قال بنعومة.

«ربما لا. لكنني أقوم بكمية محددة من أعمال المنزل الآن، أنت تعلم».

«أوه، أنا لا أشك بقدراتك المنزلية» قال بطريقة عادية. «أنا أجرؤ على القول أنك ستديرين الفيللا في ويمبلدون بطريقة ممتازة اذا كان عليك ذلك. لكنني أعتقد أن هذا المنزل سيكون مقراً مناسباً أكثر لك».

سحبت يدها وبدأت تسير حول الغرفة، متمنية لو أنها تستطيع أن تكون مع نفسها لفترة لتراجع عرضه

الخيالي في إطار من عقل أكثر هدوءاً.

لقد كان وضعاً ساخراً. الحافز الوحيد لاهتمامه الذي أخذته بعين الاعتبار كان أنه يريد أن يجعل منها خليلة له. إنه لم يخطر ببالها أنه كان يفكر في الزواج. منذ سنوات، عندما كانت لا تزال في سنوات مراهقتها الأولى، قررت أنها ستتزوج لأجل المال، ومع ذلك الآن عندما أغنى رجل هي كان من المحتمل أن تلتقيه كان يعرض عليها كل شيء هي أرادته، فإن شيئاً ما جعلها تتردد.

«أنت تعرف القليل عني، يا جوستين» قالت فجأة، واستدارت لتواجهه عبر الغرفة.

«أليس هناك مثل يقول أنك لن تعرف الشخص حتى تعيش معه؟ أنا أعرف كل ما أريده. أنت جميلة وذكية ولديك قدرة نادرة على الجلوس ساكنة ولا تثرثرين بإلحاح حول التفاهات» أجاب.

«أنا لدي طبع سيء جداً» قالت.

«اذن سنكون مناسبين تماماً، فأنا كذلك».

لم تستطع أن تتخيله في ثورة غضب، يصرخ ويعصف ويطرق الأبواب مثل معظم الرجال النزقين. نوعاً ما سوط السخرية بدا أكثر في الطباع، أو الاشمئزاز الصامت البارد الذي كان أكثر ارهاباً من الثورة الساخطة.

«أفترض... أفترض أنه كان هناك سيء ما يسيء الى سمعتي؟» قالت ببطء.

«هل هناك؟» بدا متسلياً.

«أنا لا أنتمي الى عالمك، يا جوستين. كل شيء لدي عليّ أن أقاتل من أجله. حتى جيل لا تعرف الحقيقة عني».

«ما هي الحقيقة؟» قال بهدوء.

قامت بحركة قلقة، متعجبة كيف تبدأ لتجعله يفهم.

«أنا أخبرتك أنني نشأت في ليفربول وبدأت العمل في الخامسة عشرة» بدأت ببطء. «أعتقد أنك فكرت بأن والداي كانا قاسيين، لكنه كان أكثر من ذلك. توفي والدي عندما كنت في السابعة. هو كان سكيراً لا أمل منه. أهل والدتي لم يوافقوا على زواجها ولم يساعدوها، فكان عليها أن تعمل في مصنع، وتتركني في رعاية الجيران. نحن عشنا في بيت تحت الأرض في شارع يدعى بريغز لين. كان عبارة عن زقاق. كان هناك مقياس للغاز خلفنا تماماً وكل شيء كانت رائحته غازاً، حتى الطعام. حسناً، ذلك هو نوع الخلفية التي جئت منها. توفيت والدتي بعد أن بدأت بالعمل وعشت في دار للضيافة للفتيات العاملات. لقد بدت أشبه بالجنة بعد البيت تحت الأرض».

كانت طول الوقت تتحدث بدون أن تنظر اليه، مقدرة

الاشمئزاز الذي يجب أن يظهر على وجهه. لشخص مثل جوستين، الذي لم يعرف ما هو الفقر، التلاوة بدت مزدوجة القذارة.

«هل هذا هو كل شيء؟».

«نعم، ذلك هو كل شيء» قالت بفظاظة. «الباقي أنت تعرفه».

سمعته ينتقل وبعد لحظة هو كان بجانبها، يديرها لتواجهه.

«أنا طلبت منك أن تتزوجيني» قال بأسى. «أين ولدت أو كيف عشت كطفلة لا علاقة له بالموضوع».

«أنت لست مضطراً لتكون شهماً» قالت بمرارة.

«عندما تعرفينني أكثر ستجدين أن الشهامة ليس واحدة من فضائلي».

«لنفترض أنني قبلت. ما الذي ستعتقده عائلتك وأصدقاؤك؟».

«ما يعتقده الآخرون لا يهمني بوجه خاص».

«من السهل أن تقول ذلك الآن، لكنك قد تندم عليه لاحقاً».

«يا طفلتي العزيزة، ان الفائدة الرئيسية لامتلاك مبلغ ضخم من المال هي أنها تمكن المرء بأن يفعل بالضبط ما يحلو له، بغض النظر عن ردات فعل الاشخاص الآخرين. بالاضافة الى ذلك، ليس هناك شيء مشين

بوجه خاص حول ما أخبرتيني به. الفقر هو سوء طالع شائع» نظر الى ساعته. «لقد تأخر الوقت. اعتقد أننا سنؤجل جولتنا في البيت حتى ليلة أخرى. أنا سآخذك الى البيت».

ذهب الى الموقد وسحب حبل الجرس. وبينما انتظرا هوبارد ليجيب، هو قال، «أنا سأعطيك ثلاثة أيام لتفكري بهذا، يا أندريا. اذا قررت قبل ذلك الحين، اتصلي بي هاتفياً. واذا لم تقرري فسوف نتناول العشاء يوم الجمعة».

هما لم يتحدثا على الطريق الى الشقة، لكن خارج بابها هو أخذ يديها بيديه وقال، «خذي وقتك حول الموضوع، يا عزيزتي، وتذكري أن ما لديك لتقدميه هو قدر ما عندي لأقدمه. كما حدث، أنا قررت أن أطلب منك أن تتزوجيني منذ بعض الوقت، لكنني انتظرت حتى الليلة لأتعرف عليك أكثر. ان لدينا الكثير مشتركاً، وأنا أعتقد أننا نستطيع أن نتعامل معاً بصورة جيدة».

عندما ذهب هي صعدت السلم الى الشقة، وهي تشعر بإعياء غريب، كأنها مرت في محنة جسدية. كانت جيل لا تزال في الخارج مع نيك، وهي أعدت لنفسها كوباً من الشاي وجلست في المطبخ تفكر في كل ما قاله جوستين.

ذات مرة، عندما كانت في حوالي العاشرة، استيقظت في الليل وسمعت والدتها تبكي. أندريا لن تنسى تلك الشهقات المخيفة، وكان ذلك عندئذ، في سن عندما معظم الأطفال قلما يدركون الحزن والمصاعب، لدرجة أنها قررت أنها ذات يوم هي ستهرب من بريغز لين وكل ما يمثله.

عندما توفيت والدتها لم يكن هناك من أحد يواسيها في نكبتها، ولاحقاً، الناس كثيراً ما كان لديهم انطباع بأنها كانت عديمة التأثر لأنها لم تظهر عواطفها. هم لم يقدروا أنها كثيراً ما كانت وحيدة ومهجورة بيأس.

في الوقت الذي بلغت فيه السادسة عشرة هي صممت بعنف أن تنجز كل الأشياء التي حرمت منها، لكن ذلك لم يكن حتى بعد ثلاث سنوات عندما فكرت أن عرض الأزياء سيكون مفتاحاً لطموحاتها. هي وصلت الى لندن مع المال الذي يكفي لدروس التدريب والمسكن الرخيص، وفي البداية التلاميذ الآخرين، الذين كان أغلبهم فتيات من بيوت الطبقة المتوسطة المرتاحة، رفعن حواجبهن فثيابها الرثة والنقص الواضح لما يساهم في جعلها عارضة ناجحة. لكن مديرة مدرسة عرض الأزياء، امرأة خبيرة وذكية تدعى ماري ليال، قد عرفت أن اندريا لديها شيء ما ينقص الفتيات الأكثر جمالاً. عندما بدأت تدريبها، كانت اندريا الفتاة التي

يغفلها معظم الناس. وفي نهايته هي طورت تلك الصفة النجومية النادرة التي لا حدود لها مما جعل السيدة ليال، التي تدير أيضاً وكالة لعرض الأزياء، تسرع في مساعدتها عبر الأسابيع القليلة الأولى قبل بداية الحجوزات القادمة بأعداد متزايدة. نالت أندريا نجاحها بهدوء، مدخرة معظم دخلها وواصلت التركيز على عملها بنفس الجهد الذي مارسته في البداية. عرفت أنها مهما كانت ناجحة، فهناك مئات الفتيات الأخريات يناضلن في سبيل المكان الأول وأن شعبيتها الخاصة لن تدوم الى الأبد. عندئذ هي فكرت في الزواج كوسيلة للحصول على الأمان الدائم في حياتها الجديدة. حياة والدتها دمرت بسبب الافتتان الأحمق لرجل ضعيف فاقد الحيلة، وهي شاهدت العديدات من الفتيات السعيدات الجذابات يتحولن الى زوجات تعيسات عبر العيش مع الأقارب أو في شقق مومسات مفروشة. معتبرة الحب كوهم عاطفي الذي سرعان ما يستهلك تحت مقتضيات ظروف العيش من يوم ليوم، قررت أن تتزوج في سبيل المال.

لغاية الآن، هناك رجلان يريدان الزواج منها. أحدهما كان محاسباً شاباً دخله ربما كان أقل من دخلها والذي طموحاته كانت مشكوكاً فيها. وكان الآخر صاحب مصنع للنسيج، أرمل مع ابن أصغر من أندريا

بعدة سنوات فقط. قدرت أن شعوره نحوها كان افتتاناً متوسط العمر، ورغم أنها أخذت عرضه بعين الاعتبار على محمل الجد لبعض الوقت، في النهاية هي رفضته، رغم أنها عرفت أن الرجال الأثرياء نادراً ما يكونون شباباً أو حتى جميلي الشكل، وأن هذا النقص كان جزءاً من السعر الذي ستدفعه. وأن رجلاً ثرياً أو وسيماً مثل جوستين تمبلار يريد الزواج منها لم يخطر على بالها، والآن، رغم أنه كان تحقيقاً لكل أهدافها، هي فجأة كانت مليئة بالشك والريبة.

ماذا قال هو؟ تذكري أن لديك ما تقدمينه تماماً مثلما هو لدي.

عابسة قليلاً، فتحت حقيبتها ودرست صورتها في المرآة. هل هو فكر فعلاً أو وجهها وقوامها كانا مبادلة كافية لاسمه وكل ما يحيط به؟.

ألقت المرآة في الحقيبة، وأشعلت سيجارة وحاولت تحليل الوضع من وجهة نظره. قال أنه يشاركها وجهة نظرها حول موضوع ما يسميه الناس حباً، اذن ما الذي يؤثر على اختياره لزوجة؟ لا مركز اجتماعي، لأن جيل قالت أنه كان هدفاً للخاطبات لسنوات بدون نتيجة. من الواضح أنه أراد زوجة التي ستكون قطعة للعرض مثل منزله في سايون بلاس أو سيارته البنتلي اللامعة أو حصانه الأصيل الذي ركبه فوق المستنقع في كورنوول.

«الأفضل الذي يستطيع المال أن يشتريه»، فكرت أندريا بكآبة. من الواضح أنا هي. حسناً، هو كبير كفاية ليعرف عقله الخاص، على ما أعتقد.

أنهت سيجارتها وغسلت أدوات الشاي وذهبت الى السرير.

طوال اليوم التالي هي كانت ممزقة مع التردد، ولم يكن ذلك حتى أواخر تلك الليلة أن حسمت أمرها.

عندما أدارت رقم هاتف جوستين يداها كانتا ترتعشان وهي شعرت ببرودة شديدة. أجاب هوبارد على الهاتف. هي عرفت صوته الناعم المرتعش قليلاً.

«هل السيد تمبلار موجود، من فضلك؟ هذه هي الآنسة فلمنغ تتكلم».

«هل تنتظرين قليلاً على الخط، يا مدام؟».

لقد بدت كأنها الأبدية قبل أن تسمع رفع سماعة الخط الفرعي. عندئذ جاء صوت جوستين، «أندريا؟».

فمها كان جافاً وكانت هناك كتلة في حنجرتها. حاولت أن تتكلم، لكن الكلمات لم تخرج.

«أندريا؟ هل أنت هناك؟».

«نعم... جوستين...».

«ما الأمر؟ هل أنت مريضة؟».

«لا، لا شيء. أنا على ما يرام».

«أنت تبدين غريبة».

«يا جوستين، أنا حسمت أمري. اذا كنت واثقاً أنك تريدني، فأنا سأتزوجك».

خرج كل ذلك باندفاع، وفي الدقيقة التي تفوهت بها هي شعرت بتدفق غريب من الارتياح، كأن التوتر بداخلها قد خطف فجأة.

كانت هناك فترة توقف قصيرة ومن ثم هو قال بهدوء، «أنا سعيد جداً. أشكرك».

«أرجوّ أن لا أكون قد أزعجتك، لكنك طلبت مني أن أعلمك».

أصدر صوتاً قد يكون ضحكة.

«لقد كنت أنوي الذهاب الى السرير» قال بسرعة.

«وأنا أيضاً كنت ذاهبة الى السرير» قالت.

«أوه، أنا فهمت. اذن سنتناول الغداء معاً غداً. أين يمكنني أن ألتقي بك؟».

«أنا لست واثقة أين سأكون. من الأفضل أن ألتقي بك».

«كما تشائين. هل تستطيعين الحضور عند الواحدة الى فندق سافوي؟».

«نعم. هذا جميل».

«حسناً. اذا كنت حرة بعد الظهر، فإننا سنختار الخاتمين».

«أوه... نعم».

«تصبحين على خير، يا عزيزتي. أشكرك على إعلامي».

«تصبح على خير».

بعد لحظة هي أعادت السماعة وسمعت صوت مفتاح جيل في القفل.

لم يكن ذلك حتى كانتا تتناولان العشاء أن أعلنت أندريا النبأ.

«أنا سأتزوج من جوستين» قالت فجأة.

كان هناك صمت مذهل بينما هضمتا هذه المعلومات، وعندئذ قفزت جيل وعانقتها.

«أندريا! كم هو مثير! لماذا لم تخبرينا من قبل؟ متى حدث ذلك؟ لم تكن لدي فكرة أنك كنت في الواقع مهتمة به. أخبريني كل شيء عن ذلك».

«ليس هناك الكثير ليقال. هو طلب مني وأنا قبلت» قالت بهدوء، ونظرت الى نيك، الذي لم يكن قد تكلم بعد.

لجزء من الثانية هي شاهدت أنه كان هناك تعبير غريب في عينيه الرماديتين، لكنه أخفاه في الحال وقال بحرارة، «يسرني سماع ذلك، يا أندريا. أنا لم أقابل تمبلار، لكن جيل تقول بأنه وسيم جداً. متى سيكون اليوم العظيم؟».

«لست أدري بعد. لم تسنح لنا الفرصة لمناقشة

خططنا».

«لكن متى هو تقدم؟» سألت جيل، وبدت مندهشة قليلاً. «أنا أعتقد أنك لم تشاهديه منذ يوم الاثنين».

خطر ببال أندريا أن الحقيقة قد تبدو غريبة، وهكذا هي قالت كذبة بيضاء، وقالت أن جوستين غادر قبل دخولهما.

«أنا سعيدة. عندما يكون المرء نفسه سعيداً، هو يريد كل شخص آخر أن يكون سعيداً» قالت جيل، وضغطت على يد نيك، وأعطته نظرة حب.

مراقبة نيك، الذي كان يشعل غليونه، تعجبت أندريا اذا كان هو قد اشتبه أن خطوبتها كانت مختلفة تماماً عن خطوبته. إن هو اشتبه، هل سيخبر جيل؟.

«هذه ستكون قصة رائعة. من المحتمل أن تصدر صحيفة الميرور بمانشيت عريض «عارضة أزياء تتزوج من قطب الفولاذ» قال.

«لكنها لم تعلن بعد» قالت بقلق.

«لا تقلقي، أنا لن أبوح بها. لا شك أن تمبلار سيضع اعلاناً غداً في التايمز. لكن حالما تنشر، فمن المحتمل أن تكوني مغمورة بالمصورين والصحافيين».

عضت أندريا على شفتها. اذا قررت الصحف اعلان خطوبتها، فهي قد تستأصل الحقائق من ماضيها. هي تستطيع أن تتخيل كم ستكون القصة ملونة عندئذ. كل

الكليشيهات القديمة حول سندريللا تتزوج أميراً ساحراً والفتاة من الجانب الخاطيء للأزقة تقتحم المجتمع ستكون مطرطشة على الصفحة الأمامية للصحف الشائعة. هم قد يطبعون حتى صورة لبيت تحت الأرض في بريغز لين ومنزلاً في سايون بلاس.

للحظة هي شعرت باغراء لتتصل هاتفياً بجوستين وتطلب اذا بالامكان ابقاء خطوبتهما سرية، لكن عندئذ هي أدركت أن النبأ سيكون مقيداً فعلاً للتسرب وهما نادراً ما يستطيعان اخفاء زواجهما. لا شيء هناك للقيام به سوى الأمل بأن حدثاً ما أكثر أهمية سيحجب الخطوبة.

تأخرت قليلاً على موعدهما للغداء في اليوم التالي، واعتذرت باهتمام لدرجة أن جوستين كان متسلياً.

«اذا لم تتركيني منتظراً أكثر من خمس دقائق، فسأكون رجلاً محظوظاً فوق العادة» قال مبتسماً.

عندما هما أرشدا الى طاولة تطل على نهر التايمز، وهو طلب الطعام والعصير، وجدت أندريا نفسها مصابة بالخجل. لم تستطع أن تفكر بشيء لتقوله واجاباتها لملاحظاته أصبحت أكثر فأكثر رسمية وطبيعية.

«هل مذاق الشورباء كريه؟» سأل، وشاهد وجهها المتوتر.

«لا، بالطبع لا. إنها لذيذة وشهية» تلونت قليلاً.

«الأمر فقط هو انني لست معتادة على هذه بعد».

«بهذه، هل تعنين بأن تكوني زوجتي المستقبلية؟» استعلم بغموض.

«نعم».

«هل ذلك يعني أنك تريدين خطوبة طويلة لتعتادي على الفكرة؟ شخصياً أنا لا أستطيع أن أرى فائدة في خطوبة مطولة عندما يقرر المرء الزواج. لكن اذا كانت هناك شكوك باقية في ذهنك...».

ترك الجملة غير منتهية، وراقبها بملامح قاسية نوعاً ما.

«أوه، لا، أنا لا أعني ذلك» قالت بسرعة.

«هل أنت متأكدة تماماً؟».

«نعم».

«اذن أنا أقترح بأن نحدد الموعد في نهاية شهر آذار. أين تريدين تمضية شهر العسل؟».

«أنا لم أفكر بذلك. حيثما تشاء».

«باريس ستكون جميلة جداً في الربيع. نحن نستطيع أن نلاحق الشمس لاحقاً في السنة».

«باريس ستكون جميلة، أنا لم أكن هناك» قالت.

«في تلك الحالة، أنت لست بحاجة لتنزعجي حول جهاز العرس. لقد أخبرتني شقيقتي أن مصممي الازياء الفرنسيين يتفوقون على البريطانيين. هل أنت مشغولة

بعد ظهر هذا اليوم؟».

اندريا هزت رأسها.

«اذن عندما نشتري خاتمك، سآخذك لمقابلة مادلين».

«هل هي تعرف عني؟».

«نعم، أنا أخبرتها الليلة الماضية».

تعجبت أندريا كيف تلقت شقيقته النبأ. رغم أنها شاهدتها فقط من عبر الكنيسة يوم عيد الميلاد في كورنوول هي كان لديها شعوراً قلقاً بأن شقيقة زوجها قد لا ترحب بالخطوبة.

بعد الغداء هما ذهبا الى أحد المحلات الحصرية للمجوهرات في لندن حيث المدير، شخصية مرموقة بثياب الصباح، حيا جوستين مع فارق يستحقه زبون مرموق. هو أدخلهما الى غرفة صغيرة مجاورة وأصدر التعليمات الى أحد موظفيه.

في بضع لحظات وصل المساعد مع علبة كبيرة منبسطة.

عندما رفع السيد هامبتون الغطاء، أطلقت أندريا شهقة لا إرادية، لأن الخواتم التي كانت راقدة على فراش من الساتان الأبيض كانت أجمل ما رأت.

«ما رأيك بهذا؟» قال جوستين، مشيراً الى زمرد مربع كبير محاط بالماس.

«نعم، ذلك حجر جميل بوجه خاص، يا سيد تمبلار» قال السيد هامبتون، ودسه في الاصبع الثالث ليد أندريا اليسرى.

حدقت اليه بدون كلام، مذهولة بلونه الوهاج.

«هل يعجبك؟» سأل جوستين.

«انه جميل» قالت بذهول.

«اذن سنأخذه، يا هامبتون» قال بهدوء كأنه يشتري لعبة رخيصة بدلاً من خاتم هي عرفت أنه يكلف عدة مئات من الجنيهات.

عندما غادرا المحل وعادا الى السيارة التي كانت واقفة في شارع جانبي، قالت أندريا.

«انه خاتم مدهش، يا جوستين. أشكرك كثيراً جداً».

«أنا سعيد لأنه أعجبك» عاد صوته الى نغمته العادية.

عندئذ هي أدركت لماذا هو بدا مختلفاً في المحل. نظر اليها وتحدث اليها كأنهما كانا أشبه بزوجين آخرين مخطوبين، كأنه قد أحبها.

عاشت شقيقته في نايتسبريدج وهما أدخلا الى غرفة الجلوس بواسطة خادمة نحيلة الوجه في زي أخضر قاتم.

بعد عدة لحظات سمعا صوت كعبين عاليين يهبطان الى القاعة ومادلين لافريك دخلت الغرفة. كانت ترتدي

ثوباً أصفر قاتماً، الذي عرفته أندريا كموديل لانفان ـ كاستيللو، مع سلسلة طويلة من خرز الكهرمان تتدلى حول عنقها.

نهض جوستين، وسحب أندريا الى قدميها وظل ممسكاً يدها. «يا مادلين، هذه هي أندريا» قال بهدوء.

مهما توقعت أندريا، فإنه لم يكن بالنسبة للسيدة لافريك أن تنزلق الى الامام مع ابتسامة لامعة وتقول بحرارة.

«أنا سعيدة بلقائك أخيراً، يا عزيزتي. أنا لا أستطيع أن أتخيل لماذا لم يحضرك جوستين لرؤيتي من قبل، لكن، كما اكتشفت، هو مخلوق لا مركزي. أنت تعلمين أنني شاهدت صورك كثيراً لدرجة أنني شعرت بأنني أعرفك من قبل. أنا لا أستطيع أن أقول كم أنا سعيدة عندما أعلن لي جوستين النبأ. أنا يئست منه تماماً بجعله يتزوج ما لم تكن فتاة جدية بشكل رهيب التي ستعتقدني مشتتة الفكر الى حد الذهول».

قبل أن يكون لدى أندريا الوقت لتستفيق من دهشتها عند هذا الاستقبال المسكوب، هي وجدت نفسها على الصوفا والسيدة لافريك بجانبها.

«أخبريني الآن عن جميع خططك. متى سيكون الزفاف؟».

«نهاية الشهر القادم» قال جوستين.

«هكذا سريعاً؟ يا طفلتي العزيزة، ستندفعين بعيداً عن قدميك. لا بأس، لقد أخبرني جوستين أن والديك ميتين، وهكذا فإنها ستكون مهمتي لمساعدتك بكل التحضيرات. سنبدأ على الفور».

«ربما تفضل أندريا زفافاً هادئاً» اقترح جوستين.

كانت على وشك أن تقول أنها ستفضل ذلك، لكن شقيقته تدخلت أولاً.

«أي هراء هذا! كل فتاة تريد زفافاً لائقاً، وأندريا ستكون عروساً جميلة جداً» ـ ابتسامة أخرى لامعة ـ «لدرجة أنه سيكون اجرامياً أن يكون لديها أحد تلك الأعمال المؤقتة. مع ذلك، الشيء الأول هو حفلة خطوبة. لقد دعوت بقية أفراد العائلة للعشاء يوم الجمعة وبعد ذلك ستكون لدينا حفلة رقص غير رسمية».

وبينما كانوا يتناولون الشاي ومادلين تواصل احتكار الحديث هي كانت واعية أن جوستين كان ثانية يزعم أن يكون ما اصطلحت عليه عقلياً «الخطيب المناسب». الطريقة التي ابتسم بها اليها، والطريقة التي أشعل بها سيجارتها، والطريقة التي قال بها اسمها ـ كل هذه كانت محسوبة بإتقان لجعل شقيقته تعتقد أنه غارق في حبها.

كانت مرتبكة ومشوشة، وقد كانت راحة عندما هو

قال بأنهما يجب أن يغادرا. شقيقته رافقتهما الى السيارة، لكنه كان برداً شديداً لها لتبقى تتحدث عبر النافذة لفترة طويلة.

وفي طريق عودتهما الى الشقة، قال جوستين.

«مادلين لديها نزعة التنظيم، يمكنك أن تتركي معظم التخطيط لها. أرجو أن لا تمانعي في هذه الحفلة التي ستقيمها. ان معظم أقاربي لا يؤذون».

«أرجو أن يوافقوا علي» قالت أندريا بارتياب.

«بالطبع هم سيوافقون» قال بحزم.

كانت حفلة عشاء مادلين امتحاناً أقل مما توقعت أندريا. بالرغم من عادته بالتنحنح كل عدة ثوان، وجدت نفسها معجبة بروبرت لافريك. كان رجلاً هادئاً، محجوباً تماماً بواسطة زوجته المتطايرة. كان على الأقل أكبر من مادلين بعشرين سنة وهما ظهرا زوجاً متناسباً بغرابة.

قدمت الى مختلف أبناء العمومة والعمات والأعمام الذين كانوا مفرحين لها بطريقة بعيدة نوعاً ما، لكن العضوة البارزة للعائلة كانت لورا العمة العظيمة لجوستين، سيدة عجوز في الثمانينات التي تفحصت أندريا عبر منظار وقالت بعبوس.

«أنت لديك ادراكاً أكثر مما توقعت، يا جوستين. هذه الفتاة لديها الكثير من الذكاء في رأسها. هيا ابتعد.

أنا أريد التحدث اليها».

لتكدر أندريا، جوستين أطاع أمرها وهي تركت لوحدها مع هذه السيدة العجوز القاهرة، التي بدأت في الحال تنهال عليها بالأسئلة. من الواضح أن أجوبتها كانت مقنعة، لأنه عندما انتهى الوعظ، ربتت العمة لورا على ذراعها بيد رفيعة كالمخلب وقالت.

«لقد نال الشاب أكثر مما يستحق. فكرت دائماً بأنه يجعل من نفسه مغفلاً، لكن يبدو أنني كنت مخطئة. لقد حان الوقت ليكون لديه شخص يبقيه في نظام. كيف تعاملك مادلين؟».

«هي كانت لطيفة جداً» قالت أندريا، وفكرت أنه كان سؤالاً غريباً.

«اوومف، اعتقد أنها تريد الحفاظ على الجانب الأيمن لجوستين» قالت العمة لورا بطريقة لاذعة. «لم أعرفها تحب امرأة أخرى بعد، خاصة التي تكون أجمل منها. أخذت هذا عن والدها، الشخص الغبي جداً. لا أستطيع أن أفهم لماذا تزوجته لويزا. أنت تعرفين أن والدتهما كانت اسبانية، على ما أعتقد».

أطرقت أندريا برأسها.

«فتاة جميلة. لديها روح في اصبعها الصغير أكثر مما كان لدى كلايف في جسمه كله. جوستين يشبهها تماماً. يحتاج الى شخص ما يعرف كيف يديره.

جوستين لن يدع زوجته تخبره ماذا يفعل. هو سرعان ما سيظهر من كان السيد، لكن ذلك لا يعني أنه لا يمكن التعامل معه. ذلك هو السر الكامل للزواج، يا عزيزتي. دائماً دعي الرجل يعتقد أنك تعتمدين عليه وهو سيأكل من يديك».

كانت قد أعطت هذه النصيحة الغريبة هي استدعت ابنة أخيها الكبيرة، التي كانت واقفة على بعد مسافة ما ـ لحسن الحظ على بعد من مسمع الاذن ـ وسألت لتعرف كم يتوقع أن ينتظروا للعشاء.

«كيف سارت الامور مع لورا؟» سأل جوستين في المساء عندما استقر الكبار على لعبة البريدج، بينما رقص الشباب. غير قانعة بتقديم أندريا الى أقربائها المستقبليين، دعت مادلين جمهوراً من صديقاتها للقائها.

«هي كانت تخبرني عن والدتك» قالت أندريا.

لان وجهه.

«نعم، هما كانتا مولعتين جداً ببعضهما. أنا سعيد لأن لورا معجبة بك. هي الوحيدة في العائلة التي احترم حكمها».

«كيف عرفت أنها معجبة بي؟».

«هي كانت ستقول ذلك اذا لم تكن معجبة بك».

«لقد قالت عمتك أنك كنت عنيداً جداً وذاتي

الارادة» ألمحت أندريا، مهتمة لترى ردة فعله لهذا التقييم لطباعه.

ضحك جوستين. «هي يجب أن تكون قد أعجبت بك كثيراً لكي تسرد نواقصي. هل هي نجحت في اعطائك أفكاراً ثانية؟».

«لا، أنا عرفتها مسبقاً».

«أوه. كيف؟» استعلم بجفاء.

قبل أن تستطيع أن تشرح هما قوطعا بواسطة شقيقته، التي أرادت تقديم بعض القادمات الجديدات، وهما لم تسنح لهما فرصة أخرى للتحدث حتى وقت متأخر جداً عندما بدا أن جوستين قد نسي الموضوع.

كانت الأسابيع التالية مزدحمة جداً، رغم أن مادلين تولت مسؤولية معظم تحضيرات الزفاف. هي لم توافق على إصرار أندريا على صنع ثوب زفافها وحاولت اقناعها بأن يصنع بواسطة خياطتها الخاصة. لكن حيث أن جوستين كان يدفع لكل شيء آخر، فقد كانت أندريا مصممة على أن ثوبها وثوب الاشبينة جيل يجب أن يكونا مسؤوليتها. في النهاية، حتى مادلين اعترفت أنهما كلاهما كانا جذابين جداً.

بعد مقدار كبير من التفكير، قررت أندريا أخيراً على شريط أبيض، وهي وجيل أمضتا أمسية كاملة على تفصيل تنورة متماوجة، التي كانت لتسند بواسطة

www.elromancia.com

صدرية التول الزوبعة.

اختارت جيل شيفون أزرق فاتح لثوبها مع قوس من المخمل الأزرق المتدلي بأعلام شريطية طويلة الى الحاشية تقريباً.

قبل أسبوعين من الزفاف بدأت الهدايا تنهال، وأندريا أمضت عدة أمسيات في سايون بلاس تساعد جوستين على فتحها. معظم الهدايا كانت من أصدقائه الذين لم تلتقيهم بعد.

«أنا سأكون سعيداً عندما ينتهي كل شيء» قال جوستين عندما دخلا الى المكتبة «لا يزال، على ما أعتقد هناك نساء يستمتعن بهذه الأشياء».

لاقطاً مشهداً من تعبير أندريا، هو قال.

«أنت لا تبدين متحمسة جداً».

«بالطبع أنا متحمسة. إنه لطف عظيم من مادلين أن تقوم بكل هذا العمل الحمّاري» قالت، بسرعة مدعية نظرة سرور.

تأملها جوستين بحدة للحظة.

«أعتقد أنك في الواقع لا تريدين مهرجاناً ضخماً بتاتاً» قال بذكاء.

لأسابيع هي كانت تنتظر هذه اللحظة، لكن حتى هكذا هي لم تستطع السيطرة على التصلب المخادع لجسمها عندما هو عانقها.

قبل أن تستطيع أن تقول أي شيء هو أطلق سراحها على الفور وذهب، وهي تركت واقفة في الظلام، شاعرة أنها الآن هي عرفت حتى القليل من طباع الرجل الذي ستتزوجه.

في صبيحة يوم الزفاف ألحت جيل بأن أندريا يجب أن تتناول الفطور في السرير.

«ان أمامك يوماً طويلاً» قالت بحزم عندما اعترضت أندريا بأن كونها عروساً لا يعني بأنها معاقة.

«كيف تشعرين؟».

«عادية تماماً. ماذا تتوقعين؟» قالت أندريا.

أدخلت جيل في الحال صينية محملة بعصير الفواكه، والبيض المسلوق، والتوست، والقهوة.

«عليك أن تأكلي كل قطعة، لأنني لا أتوقع بأنك ستحصلين على أكثر من قضمة في حفلة الاستقبال ووجبتك اللائقة التالية ستكون العشاء في باريس» قالت، ودفعت وسادتها الخاصة خلف كتفي اندريا ومدت فوطة ملونة فوق الشرشف.

«المرأة المتهمة أكلت فطوراً شهياً» أضافت مع تكشيرة، بدون أن تلاحظ النظرة الحادة التي أطلقتها عليها صديقتها.

كانت أندريا قد توقعت ليلة مقلقة، ممزقة بشكوك الساعة الحادية عشرة، لكن في الحقيقة هي نامت

بسلام.

كانت لتوها تخرج من حمام مريح عندما جيل طرقت على الباب وصرخت.

«أسرعي! بعض الرزم وصلت بتسليم خاص. واحدة لكل منا».

لفت منشفة الحمام الصفراء الكبيرة حولها، ودخلت اندريا الى المطبخ حيث كانت جيل تقطع خيطاً على طردين ثقيلين مختومين بالشمع الأحمر.

«أنت افتحي طردك أولاً» قالت بتبرم.

مقدرة أن الطردين كانا من جوستين، نزعت أندريا اللفافات. في الداخل كانت علبة جلدية دمغت بالأحرف الأولى أ. أ. ت. بالذهب.

«أوه، هذه لك أنت. أندريا اليزابيث تمبلار» قالت جيل بفرح، متكئة فوق كتفها. عندئذ، عندما رفعت أندريا الغطاء، هي أطلقت صفارة طويلة منخفضة.

كانت العلبة مبطنة بالحرير البنفسجي وفي الوسط بروش ماسي ضخم على شكل وردة متفتحة. على كل جانب منه قرط من نفس التصميم على أصغر.

«يجب أن يكونوا قد كلفوا ثمناً باهظاً» قالت جيل باحترام. «أنا لن أجرؤ على ارتداء مثل هذه الثروة. هل رأيت أي شيء بمثل هذا الجمال؟».

بحذر شديد، رفعت أندريا الوردة الماسية من العلبة

ووضعتها في راحة يدها. ذات مرة، كطفلة صغيرة، هي كسرت قطعة جليد من على حافة النافذة ورفعتها الى ضوء شمس كانون الثاني الشاحب. تلألأت ولمعت كهذه القطع الماسية وهي أرادت الاحتفاظ بها في صندوق مجوهراتها، لكن بعد عدة ثوان الدفء من أصابعها جعلها تذوب. الماس لا يذوب، لكنها تعجبت فجأة اذا كان البروش في يدها يمثل شيئاً ما زائلاً مثل قطعة الجليد اللامعة.

بعد ذلك، سرعان ما حضرت السيدة ايفرارد لمساعدتهما على ارتداء الثياب. كانت أندريا قد كتبت الى السيد ايفرارد تسأله اذا بإمكانه أن يزفها وهو قال بأنه سيكون سعيداً. هما وصلا الى لندن في اليوم السابق وأمضيا ليلة في فندق قريب، لكنهما سيقيمان في الشقة لعدة أيام بينما السيدة ايفرارد ستساعد جيل لشراء بعض الأثاث لشقة أكبر التي كان وجدها نيك.

بحلول الساعة الحادية عشرة والنصف كانت الشقة في دوامة، لكن العروس والاشبينة كانتا قد ارتدتا ثيابهما ومستعدتين لوصول السيارات خلال ربع ساعة.

فيما بعد هي تستطيع أن تتذكر القليل جداً عن خدمة الزفاف ما عدا الصوت العميق لجوستين وهو يردد القسم الوقور ولمسة يده عندما يدس خاتم البلاتين في اصبعها.

خارج الكنيسة كان الجمهور أكبر مما كان عندما وصلت. كان لديها انطباع سريع للأضواء، والزينة، والاشخاص الذين يتدافعون ويصرخون بأطيب التمنيات، ومن ثم هما أصبحا في السيارة.

«أوه، أنا لم أكن أعلم بأننا سنكون في مثل هذا الحشد».

بدأ جوستين يمسح قطع أوراق الزينة عن معطفه بينما رتبت اندريا تنورتها الضخمة.

«أندريا» أمسك بيدها.

«نعم؟».

«سنشعر أفضل مع بعض العصير» قال بلطف.

استطاعت أن تبتسم.

«أنا لم أشكرك على هديتك» قالت، ولمست البروش بيدها، «أنت طيب جداً معي».

«سأحاول أن أكون».

بعد ذلك هما كانا صامتين حتى وصلا الى سايون بلاس، وهي تعجبت اذا كان يشاطرها حرجها.

بدا حفل الاستقبال كأنه لا ينتهي. كان عليهما أولاً مصافحة طابور طويل من الضيوف ومن ثم كان حفل قطع الكاتو والتوست اللذين أجاب عليهما جوستين بخطاب شكر ذكي قصير. أخيراً، عندما هي بدأت تتعجب اذا كان ذلك سينتهي لمست جيل ذراعها

وهمست بأنه حان الوقت لتغيير الثياب. حتى عندما كانت ترتدي ثياب السفر، كان لا يزال هناك سطر من الوداع ليقال قبل أن يدخلا السيارة من جديد، للذهاب الى مطار لندن.

«حسناً، لقد انتهى كل شيء. نستطيع الآن أن نسترخي لمدة اسبوعين» قال جوستين ببشاشة.

هما تناولا الشاي فوق القنال الانكليزي، لكن أندريا لم تكن جائعة. في حوالي الساعة السابعة هما كانا يدخلان الى فندقهما في باريس.

بناء لاقتراح جوستين هما تعشيا في مطعم يطل على نهر السين، واذا لم تكن أندريا عادلة بالنسبة للطعام الشهي، فهو لم يعلق. بعد ذلك عادا الى الفندق وهو تحدث عن بعض الأماكن التي يجب أن يزوراها خلال وجودهما في باريس.

كان جناحهما يتألف من غرفتي نوم يفصلهما صالون فخم له شرفة تطل على الشانزليزيه. كانت ليلة دافئة وجوستين فتح الابواب الزجاجية ونظر الى الشارع العام الشهير مع محلاته المضاءة ومقاهي الرصيف المزدحمة وسيل حركة السير. في هذه الساعة البيكاديللي سيكون مظلماً ونصف مهجور، لكن في باريس كان الليل لا يزال في بدايته وكان هناك شعور بالربيع في الهواء.

«أنا سآخذ دوشاً» قال، واختفى في غرفته وأغلق

الباب.

بعد بضع دقائق دخلت أندريا الى غرفتها وبدأت تخلع ثيابها. عندما علقت ثيابها وأزالت ماكياجها، بدأت تمشط شعرها. نوعاً ما روتين موعد النوم المألوف أعطاها الشجاعة. عندئذ، هي خلعت ثيابها الداخلية، وارتدت فستان نومها.

كانت تتأمل نفسها في زجاج الخزانة عندما كانت هناك طرقة على الباب.

«أدخل» بحكم الفطرة هي لفت ثوبها حولها.

دخل جوستين وأغلق الباب خلفه بهدوء. هو كان يرتدي روباً حريرياً فوق بيجاما رمادية وكان شعره مبلولاً من الدوش.

سار نحو النافذة ووقف وظهره لها. عندما التفت كان وجهه غامضاً كالمعتاد وهي لم تكن لديها فكرة بماذا كان يفكر. لقد خطر ببالها أن هذه كانت المرة الأولى التي ينظر اليها فيها بدون ماكياج.

«هل أبدو مختلفة جداً؟» سألت بقليل من الحياء.

«مختلفة؟».

لمس خدها.

«لا مساحيق أو أحمر شفاه».

«أوه، ذلك» نظرته جالت فوقها باهتمام. «أنا لم أشاهدك تقومين بحركة خرقاء. أنت تبدين أصغر وأقل

استجماعاً لذاتك من المعتاد».

لاحظت أنها ما زالت ترتدي خاتم خطوبتها. خلعته ووضعته في جارور مع بقية مجوهراتها الأخرى.

«أنت رشيقة جداً» قال بنعومة.

نظرت اليه. هو لم يستعمل معها تلك النغمة في خلوة من قبل. لقد كان الصوت الذي احتفظ به دائماً للأوقات عندما يكونان مع أشخاص آخرين.

«تعالي معي».

سارت نحوه ببطء، مرغمة نفسها على ملاقاة عينيه السوداوين.

مد يديه ووضع يديها فيهما.

«أنت ترتعشين» قال بلطف. «هل أنت خائفة مني؟ يا أندريا، هناك شيء ما أود أن أقوله لك».

سحبها الى كرسي مريح، وظل ممسكاً يديها، وقال، «لا تكوني مذعورة. ليس هناك هيكلاً عظمياً في مرحاض عائلتي، اذا كان ذلك هو ما تفكرين به».

عندئذ هو توقف للحظة، ولأول مرة مذ عرفته، هو بدا منزعجاً قليلاً. ربما كان ذلك خيالها حيث، بعد تردد قصير، هو تابع، «أعتقد أنه كان يتوجب علي توضيح ذلك من قبل. إنه لا جدوى من إدعاء أن هذا هو زواج عادي، يا أندريا. خطوبتنا كانت قصيرة جداً لنا لنتعرف على بعضنا بصورة أفضل، وحتى نفعل، أنا

لا أتوقع منك تزييف أية عواطف لا يتوقع منك الشعور بها في مثل هذه الظروف. هل تفهمين ذلك؟».

تورد خفيف صبغ خديها لكنها التقت عينيه بثبات.

«نعم، أنا أفهم».

بعد أن حدق اليها بانتباه لعدة ثوان، أعطى اطراقة خفيفة كأنه اقتنع بأن الموضوع قد تمت تسويته، ومطلقاً يدها، وقف وبدأ يتمشى حول الغرفة.

«أنت تعرفين، نحن لسنا غير عاديين جداً» قال بخفة. «زواج الراحة ـ أظن المنفعة المتبادلة هو اصطلاح أفضل ـ هو هناك الكثير ليقال حول اختيار الشريك لأسباب عملية بدلاً من أسباب عاطفية، وحتى لو لم تكن فرنسا بلداً هيمنت عليها سابقاً الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، فأعتقد أن حوادث الطلاق ما زالت أقل بكثير مما في انكلترا» توقف للحظة ليختبر زجاجة محلول لليد على طاولة الزينة.

«يأخذ الفرنسيون مقداراً كبيراً من الانزعاج للتوطيد والحفاظ على علاقة عملية، بدلاً من توقع الافتتان لتفهم روتين معيشة كل فرد» قال.

«أعتقد ذلك» قالت ببساطة.

استدار لينظر اليها.

«لقد كان يوماً طويلا. أنت يجب أن تكوني متعبة. هل حصلت على كل شيء تريدينه؟».

«نعم، أشكرك».

«اذن سأقول لك تصبحين على خير. لقد طلبت الفطور عند الساعة التاسعة، لكن نامي قدر ما تشائين. نحن لسنا في عجلة من أمرنا».

جاء الى جانبها ورفع يدها الى شفتيه.

«تصبحين على خير، يا عزيزتي».

«تصبح على خير، يا جوستين».

عندما ذهب بقيت هي على الاريكة لفترة، تفكر في كل ما قاله حتى بدأت جفونها توخزها من التعب. خلعت ثوبها الفضفاض، ثم أطفأت الاضواء وسحبت الستائر. عندما فتحت الشباك الزجاجي الطويل نسيم ناعم داعب طيات فستان نومها. ارتجفت، ليس بقشعريرة برد بل بارتياح، لأنها، لو فقط لفترة قصيرة، هي كانت متمهلة.

سماء الليلة كانت ساطعة بالنجوم وفي الشارع بالأسفل شاب وفتاة كانا سائرين الى البيت، مكثا تحت ظلال الاشجار. تعجبت أندريا اذا كان جوستين أيضاً واقفاً عند نافذته أو أنه قد نام.

تسلقت الى السرير ودست أطرافها المتعبة بين الشراشف الحريرية الباردة. ثم، عندما رقدت ساكنة في الظلام، هي عرفت أن الوحدة هي أكثر حدة من أي شيء قد مضى.

عندما استيقظت كانت الغرفة تفيض بنور الشمس وساعة سفرها على خزانة بجانب السرير أظهرت أن الوقت قد قارب التاسعة صباحاً. متعثرة خارج السرير، هرعت الى الحمام وفتحت كلتا الحنفيتين، ونظفت أسنانها فيما كانت المياه جارية.

أخذت حماماً ومكيجت وجهها، ثم ارتدت قميصاً حريرياً بلون الكريم وتنورة تويد ذات ثنايا بلون الكوراك. في الوقت الذي كانت فيه جاهزة كانت الساعة التاسعة وعشر دقائق، ومنتعشة وثابتة بنوم ليلة، هي كانت جائعة للفطور.

عندما دخلت الى غرفة الجلوس، هي وجدت جوستين يقرأ صحيفة عند طاولة الفطور بجانب نافذة الشرفة.

«صباح الخير. هل نمت جيداً؟» نهض وسحب كرسياً لها.

«نعم، أشكرك. وأنت هل نمت؟».

أطرق برأسه، ووضع فوطة على ساقيه. «أنا أحب قهوتي بيضاء عند الفطور وسوداء بقية النهار».

«أوه، هل كنت تنتظرني؟ أنا آسفة» أمسكت ابريق القهوة وصبت كوبين.

«رائحتك جميلة جداً» ابتسم لها.

«أشكرك. وكذلك رائحة هذه» هو شم شذى البخار

المتصاعد من كوبها والكرواسان الطازجة المدهونة بالزبدة.

«إم م، ما أشهى هذا الخبز».

«أنا أستطيع أن أوصي على فطور انكليزي اذا شئت، لكنني اعتقد أنك تفضلين التركيز على الغداء والعشاء طالما نحن هنا. أنت لست في حمية، على ما أرجو».

ضحكت اندريا وهزت رأسها. «أنا لدي شهية معظم غير السيدات. لحسن الحظ إنها لا تؤثر على وزني».

«حسناً. الطعام الفرنسي يستحق تقرباً من القلب، لكن من جهة أخرى القوام الجذاب يستحق مقداراً محدداً من انكار الذات، على ما اعتقد».

هما تناولا الغداء على شرفة بجانب نهر السين وراقبا ثلاثة أو أربعة رجال يصطادون السمك على رصيف مقابل.

في فترة بعد الظهر هما تمشيا عبر الاروقة الفسيحة الباردة لمتحف اللوفر ومن ثم عادا الى الفندق في عربة يجرها حصان بدا قديماً كالسائق العجوز المجعد.

في المساء هما تعشيا في زورق على الضفة اليسرى. كانت الأرض مفروشة بالنشارة والطاولات مغطاة بأقمشة ورقية مجعدة، لكن الطعام كان يليق بالملوك.

استأجر جوستين سيارة لفترة اقامتهما وفي الصباح التالي ذهبا الى فرساي، وكان قد اتخذ الترتيبات للعشاء

مع بعض أصدقائه في المساء.

سار النهار على ما يرام. بعد جولة في القصر الفسيح ومخلفات ماضيه وعظمته المضمحلة، هما تعشيا بجانب البحيرة وأمضيا بعد ظهر كسول يسيران في الأراضي. بدا جوستين بأنه وضع نفسه ليرفه عنها، وعندما عادا الى باريس أدركت أندريا أن النهار لم يفسد بواسطة أي توتر مفاجيء أو ملاحظة بدون تفكير.

كان عليهما أن يتعشيا في لاتور دارجنت، أحد أشهر المطاعم في المدينة، وهكذا هي كانت متلهفة لتبدو في أحسن حالاتها وقررت أن ترتدي فستان سهرة من الشيفون الرمادي الضبابي مع وشاح طويل من الساتان الكهرماني وحذاء مناسباً ببكل من الياقوت.

كان جوستين يتصفح نسخة من صحيفة باري سوار عندما هي دخلت الى غرفة الجلوس قبل بضع دقائق من موعد حضور أصدقائه. عند حفيف وشاحها هو ألقى الصحيفة جانباً ووقف، نظرته سافرت من رأسها الى أصابع حذائها.

«هل أنا مناسبة هكذا؟» سألت.

«يجب أن تكون مرآتك قد أخبرتك ذلك» قال بجفاء، وقدم لها سيجارة.

هزت رأسها وتجاوزته الى الشرفة. في الخارج كان الغسق يهبط في ظلال ناعمة والنجوم الأولى كانت

تتلألأ في سماء كحلية داكنة.

«الباريسيون يسمون هذا الساعة الزرقاء» قال بهدوء من خلفها.

«أوه، هناك عطر يدعى هكذا. أنا كثيراً ما تعجبت لماذا».

اتكأت بكوعيها على درابزين الشرفة، وغلفت ذقنها بيديها ونظرت الى الشارع الأغبش.

«لن تشعري بالبرد هنا» قال جوستين. «هل تفضلين كوباً من العصير قبل أن يصل آل بيشيه؟».

«لا، أشكرك» عينا أندريا كانتا على زوجين شابين يقفان على الجانب المقابل من الطريق ومن الواضح أنهما كانا يقولان وداعاً. الفتاة، شعرها الاسود معقود في ذيل حصان، استدارت لتغادر، والشاب أمسك بذراعها وسحبها نحوه. في لندن العابرون سيشمئزون من هذا العرض العام، لكن هنا في باريس لا أحد يكترث.

فجأة هي شعرت بذراعي جوستين تطوقانها. لحسن الحظ هي سمعت طرقة على باب جناحهما. التفتت، وتوقعت من جوستين أن يفسح لها الطريق، لكنه ظل واقفاً وسد طريقها.

«أنت جميلة جداً» قال بنعومة.

وفي اللحظة التالية هو كان يتجه نحو الباب.

www.elromancia.com

كانت السيدة بيشيه امرأة صغيرة مرحة في منتصف الثلاثينات. كلماتها الأولى لأندريا بعد أن عرّفهما جوستين كانت، «لكن بكل تأكيد أنت لست انكليزية؟».

«بالتأكيد هي انكليزية» قال جوستين.

رفعت المرأة الفرنسية يدها الصغيرة المليئة بالمجوهرات في إيماءة تعجب.

«هذا غير معقول!» تعجبت بفرحة. «عندما شاهدتك اعتقدت أن جوستين قد تزوج من اميركية. آه، الآن أنا فهمت. أنت لديك مصمم أزياء فرنسي، أليس كذلك؟».

«لا، أنا اشتريت هذا الثوب من لندن» قالت أندريا، بارتباك نوعاً ما.

جاك بيشيه، رجل بدين في حوالي الخامسة والاربعين ذو شعر أشيب كثيف وعينين عسليتين متغضنتين، ابتسم معتذراً الى اندريا وقال، «يجب أن تصفحي عن ليوني، يا مدام. هي لديها شهرة بأنها أكثر امرأة متهورة في باريس، أليس كذلك، يا جوستين؟».

«وهي أيضاً أفضل طاهية» قال جوستين.

كانت الوجبة حيوية وأندريا سرعان ما نسيت مخاوفها بأن آل بيشيه سيفكرون بأن الأمر غريب على زوجين في شهر عسل أن ينشدا رفقة. كان واضحاً بأن

جاك يهيم بزوجته، وهي تعجبت اذا كانت شراكتهما عملية مثلما أشار جوستين ليلة وصولهما. لكن مهما كان الأساس لزواجهما، فآل بيشيه كانا بكل بساطة سعيدين معاً.

ما حدث بعد ذلك كان من نوع الكابوس. هما كانا يعبران زقاقاً ضيقاً عندما برز فجأة شخص أسود من الظل وزمجر شيئاً ما بلغة فرنسية سريعة. توتر ذراع جوستين وأجاب بصوت هي لم تسمعه يستعمله من قبل.

الرجل المقترب منهما تشدق بجواب وقام بحركة تهديد أسرت بسرعة عندما قبضة جوستين إنهالت على معدته بقوة جعلته يترنح ويتراجع الى الوراء. بعد لحظة استعاد الرجل توازنه وهجم الى الأمام مع زئير من الغضب، وشيء ما يلمع في يده المرفوعة.

بحركة سريعة، جوستين دفع أندريا خلفه وتفادى الضربة. عندئذ التحم الرجلان في قتال عنيف.

راقبت اندريا الرجلين المتعاركين بهلع. الرجل القاسي كان أقصر من جوستين لكنه كان أثقل بنية، ولعدة ثوان رهيبة بدا مؤكداً أنه سينتصر. لكن العراك انتهى بنفس السرعة التي بدأ بها. كان هناك عواء من الألم، وقرقعة معدنية كأن شيئاً ما أصاب الحاجز الحجري والسفاح تهشم على الجدار وهو في كومة بلا

احراك.

«يا جوستين! هل أنت على ما يرام؟» تقدمت أندريا وأمسكت بكمه.

كان يلهث بشدة ويترنح قليلاً، لكن لدهشتها هي رأت أنه هو الذي كان يضحك.

«آسف على ذلك. كان من الواجب أن نأخذ سيارة أجرة» هو قال بصوت أجش، ورفع شعره المتهدل.

«لكن ماذا حدث؟ لماذا هو هاجمك هكذا؟» سألت.

«من أجل المال. أنت أحياناً تجدين أمثال هؤلاء السفلة يحومون حول النوادي الليلية في هذه البقعة، أملاً بإغراء السائحين بأن يناولوهم ما لديهم من النقود الفراطة».

«ماذا ستفعل به؟» سألت، ونظرت باشمئزاز الى الكومة الجاثمة على الرصيف.

«لا شيء. أنا لا أعتقد بأنه سيحاول من جديد لفترة» قال جوستين بهدوء، هو انحنى والتقط شيئاً ما. «سأحتفظ بهذا للذكرى».

التقطت اندريا أنفاسها عندما شاهدت سكيناً حاد النصل.

«كان بإمكانه أن يقتلك» قالت بصوت مختنق.

«ليس مع هذه الأساليب القتالية الفدائية. هيا، اعتقد أننا حصلنا على الاثارة الكافية لليلة واحدة».

بعد خمس دقائق هما كانا في سيارة أجرة وأندريا كانت تستفيق من صدمة الحادث. ولم يكن ذلك حتى عادا الى غرفتها وجوستين صب كوب من العصير أن لاحظت أنه كان يبقي يده اليمنى في جيبه.

«ما هي مسألة يدك؟».

«مجرد خدش» هو جرع بقية العصير جرعة واحدة.

«دعني أراه» قالت بحزم.

مقوساً حاجبه لنغمتها الحازمة، هو أخرج يده من جيبه. هو يجب أن يكون قد لفه بمنديل عندما هي لم تكن تنظر. عند رؤية الدم يسيل عبر القماش هي أطلقت صرخة تكدر خفيفة.

«بالله عليك لماذا تقول أنك لم تتضرر؟ هل هو عميق جداً؟»

«لا تتباكسي، يا طفلتي. إنه جرح بسيط لن يقتلني» قال بخفة.

«ربما لا، لكنك لا تستطيع أن تترك أثراً من الدم في الفندق. تعال الى الحمام وأنا سأنظفه لك» أجابت مع بعض القسوة.

سمح جوستين لنفسه بأن يسحب الى حمامها، وجعله يرفع يده فوق الحوض، وهي فكت المنديل الملطخ، وعضت شفتها عند رؤية الجرح الطويل من مفصل الاصبع الى المعصم.

«هذا يجب أن يقطب. يجب أن يكون هناك طبيب في الفندق أو في مكان قريب. أعتقد أننا يجب أن نستدعي طبيباً» قالت بقلق.

«فكري ثانية» قال بفظاظة.

فتحت أندريا فمها لتعترض، لكن حاجباه السوداوان اقتربا في تجهم زاجر لدرجة أنها فكرت أن من الأفضل لها أن تبدأ بمساعدة ما أمكن من الاسعاف الاولي مع معداتها المحدودة.

«هذا هو أفضل ما أستطيع القيام به، فلا تلمني اذا حدث تسمم للدم» قالت بهشاشة، وشبكت الرباط المرتجل في مكانه.

«لا يا مدام. أشكرك، يا مدام» ذهب العبوس وكانت هناك ومضة ضحكة في عينيه عندما لف كم قميصه.

في اليوم التالي عندما قبل يدها، هي اعتبرت ذلك كايماءة لمصلحة ليوني. الآن هما كانا لوحدهما، وضغط فمه أرسل رعشة خفيفة في أوصالها. ما قاله كان صحيحاً. هي كانت خائفة منه. ليس من غضبه بل من شيء ما في الرجل نفسه، قوة ما خفية هي أحست بها لكنها لم تستطع فهمها.

«طائرتنا ستغادر عند الظهر. من الأفضل أن ننام» هو قال، وترك يدها. «هل لديك أسبرين أو شيء ما يساعدك على النوم؟».

«أنا سأكون على ما يرام».

«شكراً لترقيعي. تصبحين على خير».

«تصبح على خير».

انتظرت لتسمع باب غرفة النوم يغلق ومن ثم تحولت الى المرآة ووقفت تحدق الى صورتها كأنها ستجد الجواب لسؤالها في العينين الخضراوين المنزعجتين وهما تنظران اليها.

هما هبطا في مطار لندن في وقت مبكر من بعد الظهر، وكان ذلك أثناء ذهابهما الى المنزل أن أخبرها جوستين أنه اتخذ الترتيبات لإعادة زخرفة غرفتها خلال غيابهما.

«أرجو أن توافقي على خياري» قال. «من الطبيعي يمكنك اجراء التغييرات التي تريدين».

كانت مندهشة وسعيدة، لكنها لم تستطع إلا أن تعجب لماذا هو لم يخبرها من قبل ويستشرها في ذوقها.

كان هوبادر ينتظر للترحيب بهما وقال أن الشاي جاهز في المكتبة.

«ألا يمكنه الانتظار لعدة دقائق؟ أنا أحب رؤية غرفتي» قالت أندريا.

«بكل الوسائل» قاد جوستين الطريق الى الطابق العلوي.

كان قد أراها المنزل بكامله خلال خطوبتهما، وهي تذكرت غرفة النوم الكبيرة التي تطل على الميدان، والتي كانت غير مشغولة منذ وفاة والدته، كانت مزخرفة بظلال من الأزرق، الذي لم يكن واحداً من ألوانها المفضلة والذي يعطي الشقة العليا مظهراً من القشعريرة.

لكن عندما فتح جوستين الباب المزدوج ووقف جانباً ليسمح لها بالدخول، هي وجدت أن الغرفة قد تغيرت تماماً. الآن كل شيء كان بالأبيض والذهبي مع لمسات من ماء النيلة. السجاد الأزرق على الأرض استبدل بالسجاد الأبيض السميك والجدران كانت بيضاء ومذهبة. ستائر من الديباج الابيض مع حاشية مذهبة.

«الحمام كان بحاجة الى عمل كثير. دعينا نرى ماذا فعلوا به» قال جوستين، قبل أن تستطيع هي التعليق على هذه التغييرات.

لحقت به الى الحمام الملاصق ورأت أن الورق المصقول القديم الطراز على الجدران قد أفسح في المجال الى بلاط من أزهار الربيع من الأرض الى السقف. الحمام والحوض كانا سوداوين مع تركيبات فضية وستائر دوش صفراء شاحبة وكرسي التجفيف الخيزران كان مبطناً بقماش مناشف بلون التوركواز.

مرة أخرى لم يعطها جوستين فرصة لتقول أي شيء

قبل أن يعبرا الى غرفة الجلوس الصغيرة الملاصقة أيضاً لغرفة النوم. هنا النسق الابيض والذهبي كان بارزاً بواسطة مساند مخملية على كراسي بيضاء وحمراء ومطلية بالذهبي.

كانت هناك طرقة على الباب وفي جواب لجوستين «أدخل»، ظهر هوبارد.

«أنا آسف لازعاجك، يا سيدي، لكن السير جورج على الهاتف. هو قرأ أنك عدت في صحيفة المساء وهو قلق بوجه خاص للتحدث اليك. أنا فهمت أنه يتعلق ببيان في المجلس اليوم».

«نعم، أنا اعتقدت أن ذلك سيزعجه. أخبره أنني سأنزل في لحظة، هل تسمح؟».

«حسناً جداً، يا سيدي».

«هل هناك شيء ما؟» سألت اندريا، عندما ذهب الخادم.

كان جوستين عابساً ويفرك فكه.

«لا شيء يهمك، يا عزيزتي» قال باختصار. «لقد حان موعد نومك. أنت قضيت يوماً متعباً. تصبحين على خير».

وبضربة خفيفة على كتفها، هو غادر الغرفة.

في الأيام التي تلت، بدأت اندريا تستقر في حياتها الجديدة. بعيداً عن لائحة الطعام التي السيدة لين،

مدبرة المنزل المتوسطة، تقدمها لها كل صباح للموافقة عليها، وترتيب الزهور التي ترسل بالقطار من ممتلكات كورنيش مرتين كل أسبوع، هي ليست لديها مسؤوليات منزلية.

تبدأ الأيام عند الساعة السابعة والنصف، عندما تحضر لها ميللر شاي الصباح، وتعد الحمام وتضع ثيابها.

عند الثامنة الا ربعاً هي تخرج من سريرها، وتندس في الفستان الذي تحمله الخادمة، وتبدأ التواليت بارتياح. عند الثامنة والنصف، عندما يقرع الجرس في القاعة، هي تهبط الى الطابق السفلي الى غرفة الطعام، حيث يكون جوستين يتصفح صحيفة التايمز.

كان الغداء عند الساعة الواحدة، والشاي عند الرابعة والنصف والعشاء، ما لم يرغبان بالترفيه أو الخروج، عند السابعة. ضمن هذا الاطار من الوجبات وقتها كان ملكاً لها، بدون التجارب المقيدة في عمل المنزل التي تشغل معظم العرائس.

اقترح جوستين بأنها يجب أن تفتح حسابات في عدد من المخازن وأعطاها علاوات شهرية هي اعتقدت في البداية أن المقصود منها تغطية مصاريف المنزل وكذلك حاجاتها الشخصية. عندئذ هي اكتشفت أنها كانت جميعها مصروف جيب للزوجة وأنه سيواصل التعامل

مع الفواتير المنزلية.

«لكن ذلك أكثر بكثير مما أحتاج. على ماذا يمكنني أن أصرفه؟» اعترضت عندما اكتشفت ذلك.

«يمكنني القول بأنك ستفكرين بشيء ما»، قال مع ابتسامته الساخرة.

طوال حياتها هي حلمت بأن تتمكن من الحصول على أي شيء يسلب خيالها. مع أن الأمر الآن أصبح هكذا فيبدو أن هناك أشياء قليلة جداً هي تريدها في الواقع، وبنهاية الشهر الأول هي صرفت فقط جزءاً يسيراً من المال.

هو رتب لها أخذ دروس في الركوب والسواقة، وأصرت مادلين بأنه يتوجب عليها أن تتعلم البريدج. بسيطرتها على تعقيدات اللعبة (التي في سرها اعتقد أنها تسلية مضجرة)، وجدت أندريا نفسها ملزمة لحضور حفلات سلفتها الاسبوعية للبريدج.

هنا هي التقت بالنساء اللواتي كثيراً ما شاهدت صورهن في المجلات المصقولة، النساء اللواتي ثروات أزواجهن تمكنهن من تمضية معظم أوقاتهن في صالونات التجميل أو دور الأزياء، أو تبادل القيل والقال على طاولات لعب الورق، النساء اللواتي أطفالهن يقودون وجوداً منفصلاً برعاية المربيات حتى يكبروا كفاية ليصار الى ارسالهم الى مدارس داخلية

حصرية. على الفور تقريباً هي دعيت للاشتراك في الجمعيات الخيرية المختلفة، مثل حفلات البريدج، كانت تقضي الكثير من الوقت في الثرثرة بدلاً من أي تنظيم مضني.

عندما نجحت في اختبار السواقة، اشترى لها جوستين سيارة صغيرة، وعندما يزداد الطقس حرارة هي كانت تقضي عدة أيام متجولة في بيركشاير وسوري، تأخذ غداء نزهات وتعود الى لندن في موعد العشاء.

وذات يوم قالت لها مادلين، «أنظري، أنت لست مضطرة للحفاظ على المظاهر معي، يا عزيزتي. شقيقي يستطيع أن يكون شيطاناً عندما يختار، وأنا أشك إذا كان الزواج قد خفف طباعه».

أندريا لم تجب، وتناولت سيجارة، ومادلين قالت، «يوم أحضرك لرؤيتي تعجبت اذا كان في مقدورك ادارته. هو دائماً لا يطاق. العمة لورا العجوز هي الوحيدة في العائلة التي تستطيع أن تتقدم معه، وهي متغطرسة تماماً مثله. أنت حمقاء اذا سمحت له بأن يزجرك».

«هو لم يفعل، وأنا لا أريد ادارته، كما تقولين» قالت اندريا بهشاشة. «أنا أمقت الرجل الذي يكون تحت إمرة زوجته».

«انتظري حتى تتذوقي طعم طباعه» نصحتها مادلين.

«أنت ربما شاهدت الجانب الأفضل منه لغاية الآن، لكن حالما يستهلك الجديد فقد تتمنين لو أنه كان من النوع المالس واللطيف. ذلك هو أحد الأسباب التي جعلتني أتزوج من روبرت. أنا لم أكن مهووسة بحبه، لكنني عرفت أن من السهل التعامل معه».

«هل شعرت بالذنب لعدم الاهتمام به بالطريقة التي يشعر بها نحوك؟» سألت اندريا، بدون أن تفكر قبل أن تتكلم.

تأملتها مادلين ببرود للحظة ومن ثم، بهزة كتف مميزة، هي قالت، «أية مخلوقة ساذجة أنت في بعض الطرق. إنها غلطة كبيرة لأية امرأة لتتبع عواطفها لتسحب من اليد. أنظري الى هيلين مايرز. هي كانت مفتونة بجيرالد بدون أمل من البداية، والآن، بالطبع، هي تضجره لحد الذهول. لو أنها لم تكتم أنفاسه بالمحبة هو قد لا يسلي نفسه في مكان آخر. لكن عندئذ لا إمرأة تستطيع أن تتوقع الامساك برجل جذاب الى ما لا نهاية. أعتقد بأنه ستكون لديك مشكلة مع جوستين فيما بعد، لكن على الأقل هو لن يتباهى بغرامياته علناً. هو دائماً حكيم بجنون. لا تكوني غاضبة، يا عزيزتي. بكل تأكيد هو لن يتخيل أنك ستكونين المرأة الوحيدة في حياته للعشرين سنة القادمة؟».

«أنا لا أريد أن أختلق مشادة معك، يا مادلين، لكن اذا قلت شيئاً كهذا من جديد فسأطلب منك أن تغادري» قالت أندريا بغضب.

«يا الهي، كم أنت ميلودراماتيكية!» قالت مادلين مع ضحكة لاذعة، لكنها توردت وكان هناك وميض كريه في عينيها. «أنا ليست عندي فكرة بأنك تعتنين بمثل هذه الأفكار الرومنطيقية. هل أنت في الواقع تعتقدين أنك، حالما الجديد بكونك زوجة يستهلك، ان جوستين لن ينظر في اتجاه آخر؟ كم أنت بريئة».

شاحبة باشمئزاز، وقفت اندريا على قدميها وهي تنوي أن تقرع الجرس لهوبارد وتطلب منه أن يرافق مادلين الى الباب. لكن قبل أن تتمكن من القيام بذلك، قالت مادلين بذكاء، «حسناً، حسناً. تحدثي عن الشيطان» في هذه اللحظة دخل جوستين. تابعت مادلين، «لقد وصلت في الوقت المناسب لكي تنقذني من خدش عيوني، أيها الشقيق الصغير».

«إنني أشم رائحة تنافر» قال جوستين ببرود، ونظر من وجه شقيقته المتلون الى فم اندريا المتوتر وعينيها الغاضبتين. لقد كان من المستحيل معرفة كم سمع، لأنه كان قد دخل الى الغرفة بدون صوت.

«أنت بالتأكيد شممت» قالت مادلين بصوت لاذع. «عروستك لديها طبع، في حال لم تكتشف ذلك بعد».

«وما الذي قلته بالضبط لاثارته؟» استعلم، وصب لنفسه العصير.

«لماذا لا تسأل أندريا؟ أنا واثقة بأنها ستكون سعيدة لكي تثبت أية زوجة مخلصة هي. أنا دعيت لتناول الغداء، لكنني لا أعتقد بأنني سأبقى».

كان هناك صمت أخرق بينما هي لملمت أغراضها، وأطلقت نظرة غاضبة على وجه أندريا المنكوب وخرجت.

«أنا توقعت أن يحدث هذا» قال جوستين بصوت عادي، عندما أغلق الباب الامامي. «مادلين لن تستطيع التقدم مع امرأة أخرى لأية فترة من الزمن. ما الذي قالته لإزعاجك؟».

تقبلت اندريا كوب العصير الذي صبه لها وجرعته بسرعة.

«إنه في الواقع لم يكن شيئاً. فقط خصام أحمق» قالت، وحاولت أن تبدو عادية.

«لا تكذبي علي، أيتها الصغيرة. أنا ليس لدي أوهاماً حول حدة مخالب مادلين. ماذا جرى؟».

«أنا أفضل عدم مناقشة ذلك، يا جوستين. هل يمكن أن تعطيني سيجارة، من فضلك؟».

أشعل لها واحدة، وعندما أخذت نفسين أو ثلاث عصبية، قال، «أعتقد أنه أكثر من خصام تافه ليجعلك

تهتزين هكذا. أنا أصر على معرفة ما قالته مادلين».

«أوه... أرجوك...».

هي تعرفت على التصميم لفمه وعرفت أنها ستكون مرغمة على اعلامه.

«لقد بدأ عندما كانت مادلين تتحدث عن هيلين وجيرالد مايرز» قالت بتكدر. «أنا قلما أعرفهما، لكن يبدو أن ثرثرة شائعة أن جيرالد يركض وراء نساء أخريات».

«وماذا؟».

«يا جوستين، ألا يمكننا نسيان الموضوع؟ أنا آسفة لتصادمي مع شقيقتك، لكنني أعتقد أن ذلك سيتطاير بعد فترة».

«تابعي» قال بحقد.

«حسناً... قالت مادلين أن... أن لا امرأة تستطيع الاحتفاظ برجل الى الأبد وأنك...».

«أنني سأتبع مثال مايرز» كان وجهه غاضباً. «ماذا أيضاً؟».

«هذا كل شيء. أعتقد أن ذلك كان حماقة مني، لكن الطريقة التي قالت بها جعلتني غاضبة وأنا كنت نوعاً ما وقحة معها».

«أنا فهمت» هو اتكأ على حافة الاريكة ووضع ساقاً على ساق. «لماذا كنت غاضبة؟ هل بدافع الاخلاص أم

لأنك كنت خائفة من أن يكون ذلك صحيحاً؟».

حاولت أن تقفز، لكنه أمسك بمعصمها وقال، «لا، لا تطيري المسكة ثانية. فكري بالموضوع. هل أنت واثقة أيهما كان السبب الحقيقي؟».

«بالطبع أنا واثقة. أي شخص كان سيكون غاضباً. اذا شخص ما اقترح عليك أن لدي علاقات أنا لا أعتقد أنك ستكون مسروراً جداً».

«لا، لكن ذلك لا يقارن تماماً. اذا امرأة كانت غير مخلصة لزوجها فذلك بوجه عام غلطته. الرجال كثيراً ما يخدعون النساء الممتازات، كما هو في قضية مايرز. لو كنا زوجين عاديين، أنا لن أطلب منك تحليل ردة فعلك، وبما أن ظروفنا ليست عادية، أنا أود أن أعرف اذا كان اقتراح مادلين قد خطر ببالك».

نظرت الى يده التي تطبق على معصمها بقبضة خفيفة لكنها حازمة.

«لا» قالت بصوت منخفض. «ربما يجب أن يحدث، لكنه لم يحدث».

أطلق معصمها ووقف، وسار حول الغرفة ويداه في جيوبه وتعبير غريب على وجهه.

عندئذ، قال، «نحن سنطير الى نيويورك. أنا سأكون مشغولاً في مؤتمر لمدة يومين أو ثلاثة، لكنني أعتقد أنه سيكون بإمكانك تسلية نفسك، وعندما ينتهي نحن

قد نزور بعض أصدقائي في ولاية مين. أعتقد أنك ستعجبين بنيويورك وقد قيل لي أن المحلات ممتازة».

«عن ماذا سيكون المؤتمر؟» سألت، محاولة أن تأخذ تغييره السريع للموضوع في ساقيها المنفرجين.

«قضايا مالية مملة جداً» قال.

«أنا لست جاهلة تماماً، أنت تعلم» أجابت بجفاء.

قبل رحلتهما الى الولايات المتحدة بخمسة أيام، استيقظت أندريا بحنجرة متقرحة، وعند الظهر كان عليها كل عوارض الزكام الحاد. كان جوستين في الخارج للغداء، وبعد وجبة منعزلة لم تكن لديها فيها شهية، هي أخذت بعض الاسبرين وقضت بعد الظهر راقدة على سريرها مع زجاجة ماء ساخن على كتفيها.

عند الرابعة أحضرت لها ميللر صينية من الشاي وعند الخامسة هي جرت نفسها خارج السرير، عازمة على أخذ حمام ساخن. لكن حالما وقفت بدأ رأسها يطرق وهي شعرت بالغثيان والدوار. بدا الحمام بارداً كالثلج، لكن عندما نظرت في المرآة كان وجهها بارداً وعيناها تلمعان بصورة غير طبيعية. فجأة مجهود الحمام، وارتداء الثياب، والنزول الى الطابق السفلي كان أكثر مما تستطيع أن تواجه. مرتجفة وتعطس، هي زحفت ثانية الى السرير وقرعت الجرس لميللر.

«عندما يعود زوجي أخبريه أنني مصابة بصداع شديد

وانني لن أنزل لتناول العشاء، من فضلك» قالت بصوت أجش.

أطرقت ميللر برأسها. «نعم، يا مدام. هل أستطيع أن أحضر لك شيئاً؟».

«لا، شكراً. أنا لا أريد أن آكل أي شيء».

عندما ذهبت الخادمة هي أغمضت عينيها وحاولت أن تنام، لكن جسمها بكامله الآن كان متصلباً ومتألماً وشعرت أن رأسها محشو بقطن رطب. هي كانت تحاول ارتداء فستان نومها والعودة الى السرير عندما فتح الباب وظهر جوستين.

«لقد أخبرتني ميللر أنك مريضة» قال، واقترب من السرير..

هي كبتت عطسة.

«أنا لدي صداع» قالت باختصار.

«إنه يبدو أشبه بالزكام».

أضاء المصباح بجانب السرير ونظر الى وجهها الساخن.

«أنا سأكون على ما يرام اذا تركت لوحدي».

حمت عينيها من الضوء، وتمنت أن يذهب ويتركها بسلام. بدلاً من ذلك هو جلس على جانب السرير ووضع يده على جبهتها المشتعلة.

«كم مضى عليك وأنت هكذا؟» سأل بهدوء.

هزت رأسها بعيداً، وجفلت عن طعنة من الألم طعنت صدغيها.

«أنا أصاب بمثل هذا الصداع أحياناً. إنه لا شيء لتقلق نحوه».

«لكن الحرارة هي» قال بحزم. «هل كنت مريضة؟ أعتقد أن لونك كان متغيراً هذا الصباح».

«لا، بالطبع لم أكن. اذهب واتركني، يا جوستين» تعجبت بفظاظة، وهي تعلم كيف ستبدو مخيفة بشعر منفوش وعينين دامعتين. عندئذ، لتتوج غضبها، بدأ فمها يرتجف، ومع اذلال الحاجة للسيطرة هي انفجرت بالدموع.

بعد ذلك هي لم تكن واعية حول ما حدث لاحقاً. هي تذكرت أنها أعطيت منديلاً كبيراً جافاً مكان منديلها المبلل وميزان حرارة وضع في فمها. عندئذ كانت ميللر هناك، تساعدها في ارتداء بيجاما دافئة، وأخيراً رجل عجوز بشارب أشيب أخبرها أنها مصابة بالانفلونزا ويجب أن تبقى في السرير ليوم أو يومين. للأربع والعشرين ساعة التالية هي كانت في دوار، لأنها شعرت بمرض شديد لتكترث بما يدور حولها.

في اليوم الثالث، بعد ليلة مزعجة ونوم عميق مضني في الساعات الأولى، هي استيقظت لتجد أن رأسها كان صافياً نسبياً وأن معظم آلامها وأوجاعها قد تلاشت.

وفي بعد الظهر هي تعافت بشكل كاف لتأكل بيضة مسلوقة قليلاً وبعض قطع الخبز والزبدة. هي رفعت على عدد من الوسائد، وشربت حليباً ساخناً، عندما كانت هناك طرقة على الباب ودخل جوستين.

«كيف تشعرين؟» سأل، وسحب كرسياً.

«أفضل بكثير، أشكرك. أنا آسفة للإزعاج».

«نحن سنصفح عنك» قال بأسى.

«أشكرك» توقفت. «أنا آسفة للمشاكسة تلك الليلة».

«لا تقلقي. كل شخص يكون عصبياً مع الانفلونزا. أعتقد أنك ما زلت ضعيفة، لكن بعد عدة أيام ستكونين على ما يرام. أعتقد أنها ستكون فكرة جيدة أن تخرجي من المدينة لفترة قصيرة حالما تكونين لائقة. أعتقد أنك قد ترغبين في قضاء عدة أيام مع العمة لورا».

«لكن رحلتنا؟ أنا اعتقدت بأننا سنغادر يوم الجمعة؟» سألت بقلق.

«يا طفلتي العزيزة، أنت لن تكوني على ما يرام لرحلة طويلة يوم الجمعة. أنا أشك اذا كان الطبيب أليـن سيسمح لك بالخروج من السرير قبل يوم الأحد، وعندئذ يجب أن تمكثي داخل المنزل ليوم أو اثنين».

«لكن هذا مستحيل. أنا عملياً على ما يرام الآن. أنا سأنهض غداً. أنت لا تستطيع أن تعني بأنك ستلغي كل شيء لأن لدي لمسة من الانفلونزا».

«إنها ليست نهاية العالم، يا عزيزتي» قال بلطف. «أنا ما زلت ذاهباً الى المؤتمر، لكنني سأعود حالما ينتهي وسوف نؤجل خططنا حتى وقت لاحق من السنة».

«هل تعني أنك ستذهب بدوني؟».

«أنا سأغيب فقط أسبوعاً. هل هذه مأساة؟».

لم تجب. عندما يقرر جوستين فلا جدوى من الجدال، وفي قلبها هي عرفت أنها ليست على ما يرام لتذهب معه في رحلة طيران طويلة عبر الأطلسي تتبعها دفعة من الارتباطات الاجتماعية. لكن الترقب بأن تترك بدون أحد سوى ميللر لتتحدث معها ملأها بالكآبة.

«هل يجب أن تكون هنا؟ أنت قد تلتقط جراثيمي» قالت ببساطة.

للإجابة هو جاء وجلس على السرير وأخذ يديها بيديه.

«لا تكوني بائسة، يا طفلتي. إنه حظ تعيس، لكن بقدر ما أحب أن تكوني معي فأنا لن أدعك تخاطري بصحتك».

كان لديها شوق مفاجيء بأن تتمكن من لف ذراعيها حول عنقه وتصب خيبة أملها كطفلة تنشد الراحة، لكنها قد تتخيل ارتباكه إن هي أفسحت في المجال لمثل هذه العاطفة. لاحقاً هي نسبت الحافز الى الهجر، والمزاج

المفرط الحساسية الذي كان نتيجة الانفلونزا. هي لم تكن من قبل بحاجة الى كتف لتبكي عليه.

بعد ظهر يوم الجمعة عاد جوستين الى المنزل ليجد اندريا جالسة بجانب نار المكتبة. عندما فتح الباب هي كانت غارقة في التفكير، والكتاب على حضنها منسي في حلم ما نهاري.

«هل قال الطبيب ألين أن بإمكانك النزول الى الطابق السفلي؟» قال، مبتسماً على تعبيرها البعيد.

قفزت، وانزلق الكتاب على السجادة.

«نعم، هو قال. فقط لمدة ساعة أو اثنتين» قالت عندما التقطه جوستين ووضعه جانباً. «غداً يمكنني النهوض لتناول الفطور، لكنه يقول بأنني يجب أن أبقى في الداخل لعدة أيام».

«أنا أصدرت التعليمات الى هوبارد ليرى أنك تفعلين ذلك. هو لديه سلطتي الكاملة ليحجزك اذا لم تهتمي بنفسك» قال جوستين، وألقى الى حضنها برزمة صغيرة مربعة.

«ما هذا؟» سألت.

«افتحيه وانظري».

مزقت اللفافة وفتحت علبة الكرتون في الداخل. فيها كانت زجاجة عطر فرنسي، وملفوفا بورق ناعم سوار ساحر من سلسلة من الحجارة الكريمة.

«تعويض بسيط عن فقدان أضواء نيويورك الباهرة» هو قال. وضع السوار على معصمها وأصابعه مكثت للحظة على نعومة ذراعها.

«هل ستفتقدينني، يا أندريا؟» سأل بنعومة، وتعبير غريب على وجهه الاسمر.

«نعم... بالطبع» قالت بارتياب.

انتقل بعيداً لكنه ظل يراقبها.

«يقولون أن الغياب يزيد القلب هياماً» قال. «هل توافقين؟».

«أنا لست أدري. أعتقد أن ذلك يتوقف على الظروف» هي قالت بحذر.

وصلت أندريا الى باريس باكراً في فترة بعد الظهر وأمضت الليلة في فندق أوصت به وكالة السفر. في اليوم التالي هي وجدت بنسيون رخيص لكنه نظيف في شارع جانبي قرب ساحة سان ميشيل وأخذت غرفة في الطابق العلوي. كان مختلفاً جداً عن الجناح الفخم الذي شغلته في زيارتها الأولى للعاصمة الفرنسية. كان السرير حديدياً من الطراز القديم مع درابزين من النحاس ورفاصات تصرصر، والأثاث الوحيد كان خزانة خشبية ثقيلة، وطاولة وكرسي منتصب. ستار حريري باهت يخفي حوض الغسيل وبيديه في الزاوية، لكن رغم ذلك كانت الفرشة جديدة نوعاً ما والشراشف نظيفة.

دفعت أندريا ايجار أسبوع واحد مقدماً، وأفرغت حقيبة ثيابها ومن ثم ذهبت الى مطعم صغير على زاوية الشارع لتناول غداء متأخر. أمضت بقية فترة بعد الظهر تتمشى وعادت الى البنسيون حوالي السادسة، وكانت قد اشترت بعض اللفائف، وعلبة جبنة وبعض الفواكه لتأكلها في غرفتها. بعد السابعة هي ذهبت الى السرير وتمددت تراقب الشمس وهي تهبط خلف الاسطح والمداخن وراء النافذة الضيقة.

لثلاثة أيام هي وجدت في فراغ مظلم من اليأس، محتجزة عن الحياة الصاخبة من حولها، خالية من كل شعور ما عدا الألم الخامل لبؤسها. عندئذ، في اليوم الخامس من هربها المتهور من المنزل، هي وجدت نفسها قرب كاتدرائية نوتردام، فأرادت أن ترتاح فدخلت الى الكاتدرائية العظيمة وجلست في الظلام الهادىء.

كان هناك العدد المعتاد من السائحين يتجولون، لكنها لم تشعر بهم. كان الجلوس هناك مسالماً مع نور الشمس المتسرب عبر النوافذ الزجاجية الملونة الجميلة ويتساقط في برك من اللمعان الأزرق والأخضر والوردي الأحمر.

عندما، بعد ساعة ونيف، هي خرجت الى الشارع، مع التصميم بأن لا تدع ما حدث يهزمها. للمرة الأولى

في أيام هي أكلت وجبتها المسائية مع بعض الشهية وبدأت تفكر بشكل بناء حول الاسابيع التالية. هي كانت واثقة تماماً بأنها تستطيع الحصول على وظيفة كمانيكان، فإن لم يكن على الفور، فعندما تبدأ الاستعدادات لعروض موضة الخريف. لكنها لم تكن متأكدة أن من الحكمة ممارسة مسيرة حياتها في عالم الموضة لفترة. ربما هي تستطيع ايجاد عمل في أحد المحلات التي تمون السائحين البريطانيين والاميركيين.

لم تجد أندريا صعوبة في رؤية مدير المحل الأول الذي جربته، عندما المساعد الذي تحدثت معه زعم أنها كانت زبونة هامة. لكن رغم أنه تحدث اليها بمودة، هو أسف بأن لديه هيئة موظفين كاملة وأن لا أمل بمكان شاغر. وهو شرح أيضاً أن هناك اجراءات للتغلب عليها قبل أن يستطيع الغريب الحصول على عمل في باريس.

لقيت نفس الجواب في المحل الآخر لكنها، رافضة الخضوع، هي شرعت الى المحل الثالث. عندئذ، فيما كانت تنتظر لعبور الطريق، صوت صرخ، «أندريا! ماذا تفعلين هنا؟» وعندما التفتت، هي رأت ليوني بيشيه تسرع نحوها.

احتمالان ومضا في ذهنها. أن تركض. أو أن تزعم بأنها كانت غريبة.

«أية مفاجأة سارة، يا شيري. لماذا لم تعلمينا أنك هنا، أم أنك وصلت لتوك؟» أمسكت ليوني يدها بحرارة.

كان قد فات الأوان للهرب ومن العبث انكار هويتها.

«لماذا... هاللو. كيف حالك؟» قالت بأسى.

«مشغولة جداً لدرجة أن رأسي يدور. الى أين انت ذاهبة؟ هل يمكننا أن نتناول القهوة معاً؟».

بحثت أندريا بعصبية عن سبب معقول، لكنها قبل أن تستطيع أن تجد سبباً، قالت ليوني، «لكن كم أنت نحيلة، يا صغيرتي، هل كنت مريضة؟».

تورد مؤلم لطخ خدي أندريا وهي تجنبت النظرة المهتمة للمرأة الفرنسية.

«لا، أنا على ما يرام».

أحست بارتباكها ومندهشة من تحيتها المحافظة، اقترحت مدام بيشيه بأنهما يجب أن يذهبا الى مطعم قريب.

«الآن أخبريني، منذ متى أنت هنا، وكيف حال جوستين؟» سألت.

«هو ليس معي» قالت أندريا ببساطة.

«أنت وحيدة؟».

«نعم، أنا وحيدة» قالت بحزم. «أنت ترين... نحن

www.elromancia.com

انفصلنا».

«لا! لكنني لا أستطيع أن أصدق ذلك» حدقت ليوني اليها، مندهشة. «بالتأكيد أنت لا تعنين ذلك».

عضت اندريا على شفتها وأطرقت برأسها.

«لكن ماذا حدث؟ كيف حدث؟» سألت ليوني بذهول.

«انها غلطتي» قالت بصوت منخفض. «أنت ترين... أنا تزوجت جوستين من أجل ماله».

وعندئذ، بدون أن تحاول الاعتذار أو توفر نفسها، هي أخبرت ليوني بالحقيقة حول زواجها وفشله.

«أنت تحبينه، يا صغيرتي المسكينة» قالت بنعومة. «إنه في وجهك وصوتك عندما تتحدثين عنه. إنه السبب في كونك نحيلة وشاحبة. ذلك هو السبب في عدم تحملك البقاء معه؛ لأنك أردت المال، والآن أنت تتألمين للحب. هل أخبرته هذا؟».

«لا، لا. كيف أستطيع؟ إنه سيربكه فقط. هو لا يؤمن بالحب. هو لا يحتاجه» قالت اندريا بشراسة. «ألا ترين، لهذا السبب يجب أن أغادر. أنا لا أستطيع الاستمرار بالعيش معه في حال هو عرف ذلك».

«كيف تعرفين أنه لا يشعر بنفس الطريقة؟ ربما هو يحبك ويخشى أن يقول ذلك. الرجال يكونون جبناء عظام عندما يأتي الأمر للتصريح بما في قلوبهم».

أطلقت اندريا ضحكة مريرة.

«جوستين لا يخشى من أي شيء» قالت بخمول. «هو الرجل الأكثر وثوقاً بين من عرفت».

«هل فكرت ما الذي سيفعله الآن؟» سألت ليوني.

«أعتقد هو سوف... يطلقني» قالت اندريا، ورعشة خادعة في صوتها.

«ربما. أو هو قد يجدك ويجعلك تعودين معه».

«كيف يستطيع؟ هو لا يعرف أين أنا، واذا عرف فأنا لن أذهب».

«لكن، كما تقولين، هو واثق جداً، وقوي جداً، وذاتي الارادة. انه لن يكون من الصعب عليه أن يجدك. هو يستطيع أن يدفع لمخبر خاص ليجدك».

«نعم، اعتقد ذلك. لكنه لا يستطيع أن يرغمني على العودة» قالت اندريا بصعوبة.

«لا؟ اعتقد أنه يستطيع ذلك بسهولة اذا شاء. أنصحك، اذا كنت تحبينه فعلاً، الاتصال بشخص كبير في عائلته وتشرحي له وضعك وهو بدون شك سيتفهم الوضع ويسعى الى اعادة المياه الى مجاريها».

«معك حق. ان الوحيدة التي تستطيع أن تتقدم مع جوستين هي عمته لورا» قالت اندريا.

«هيا اذن، عودي على أول طائرة واتصلي بها على الفور ولك مني أطيب التمنيات. وداعاً» قالت ليوني.

www.elromancia.com

«وداعاً».

وبالفعل استقلت أندريا أول طائرة الى لندن. وعندما هبطت في مطار لندن اتصلت هاتفياً بالعمة لورا وطلبت مقابلتها لأمر هام.

شرحت أندريا الى العمة لورا كل شيء بالتفصيل فتفهمت الوضع واتصلت هاتفياً بجوستين، الذي كان في حالة ضياع بسبب غياب اندريا، وأخبرته بأن اندريا عندها وأنها تريد حضوره فوراً.

«أنا سأحضر على الفور يا عمتي العزيزة» قال جوستين.

عندما وصل جوستين التفتت اندريا الى زوجها وقالت بعد أن عانقته، «سنبقى معاً ما بقيت الحياة» وعادا معاً الى المنزل.

www.elmolaeaa.com